كتاب البخلاء للجاحظ (دراسة أدبية إجتماعية)

البحث الجامعي

مقدم لاستيفاء شروط الإختبار للحصول على درجة سرجانا (S-1)

في كليّة العلوم الإنسانيّة في قسم اللّغة العربيّة وأدبها

إعداد:

كستيان يوليانتي

رقم القيّد :١١٣١٠٠٨١

المشرف:

محمد فيصل، الماجستير

رقم التوظيف : ١٩٤١١٠١٢٠٠٣١٢٠٠٤

قسم اللّغة العربيّة وأدبها

كليّة العلوم الإنسانيّة

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلاميّة الحكوميّة بمالانج

٢٠١٥

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

كتاب البخلاء للجاحظ (دراسة أدبية إجتماعية)

البحث الجامعي

مقدم لاستيفاء شروط الإختبار للحصول على درجة سرجانا (S-1)

في كليّة العلوم الإنسانيّة في قسم اللّغة العربيّة وأدبها

إعداد:

كستيان يوليانتي

رقم القيّد :١١٣١٠٠٨١

المشرف:

محمد فيصل، الماجستير

رقم التوظيف : ١٩٤١١٠١٢٠٠٣١٢٠٠٤

قسم اللّغة العربيّة وأدبها

كليّة العلوم الإنسانيّة

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلاميّة الحكوميّة بمالانج

٢٠١٥

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الإستهلال

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

(ال عمران : ١٨٠)

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الإهداء

أهدي هذا البحث الجامعي إلى:

أبي العزيز المحبوب أحمد زيني الذي بذل جهده روحيا وجسديا

أمي العزيزة المحبوبة إسمياتي التي أفاضت محبتها إليّ

عسي الله أن يطولهما عمرا ويغفر لهما ذنوبا ويدخلهما في الدار السلام

و أختي الصغيرة المحبوبة

ليا حريسا

و أخي الصغير المحبوب محمد فتح عبيد الله

عسى الله أن يبارك لهم في الدارين،آمين

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

وزارة الشئون الدينية
جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج
كلية العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وأدبها

تقرير المشرف

لقد تمّ الإطلاع على البحث الجامعي الذي كتبته الباحثة:

الإسم : كستيان يوليانتي

رقم القيّد : ١١٣١٠٠٨١

الموضوع : **كتاب البخلاء للجاحظ (دراسة أدبية إجتماعية)**

قد نظرنا وأدخلنا فيه بعض التعديلات والإصطلاحات اللازمة ليكون على الشكل المطلوب لاستيفاء شروط المناقشة لاتمام الدراسة والحصول على درجة سرجانا (S-1) لكلية الإنسانية في قسم اللغة العربية وأدبها.

تقريرا بمالانج، ١٠ يولي ٢٠١٥

المشرف

محمد فيصل، الماجستير

رقم التوظيف : ١٩٧٤١١٠١٢٠٠٣١٢١٠٠٤

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

وزارة الشئون الدينية
جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج
كلية العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وأدبها

تقرير رئيس قسم اللغة العربية وأدبها

تسلّم قسم اللغة العربية وأدبها بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية

الإسم : كستيان يوليانتي

رقم القيّد : ١١٣١٠٠٨١

الموضوع : **كتاب البخلاء للجاحظ (دراسة أدبية إجتماعية)**

لاستيفاء شروط المناقشة لاتمام الدراسة والحصول على درجة سرجانا (S-1) لكلية الإنسانية في قسم اللغة العربية وأدبها.

تقريرا بمالانج، ١٠ يولي ٢٠١٥

رئيس قسم اللغة العربية وأدبها

محمد فيصل، الماجستير

رقم التوظيف : ١٩٧٤١١٠١٢٠٠٣١٢١٠٠٤

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

وزارة الشئون الدينية
جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج
كلية العلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وأدبها

تقرير كليّة العلوم الإنسانيّة

تسلّمت كلية العلوم الإنسانية بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج البحث الجامعي الذي كتبته الباحثة:

الإسم : كستيان يوليانتي
رقم القيّد : ١١٣١٠٠٨١
الموضوع : **كتاب البخلاء للجاحظ (دراسة أدبية إجتماعية)**

لإتمام على درجة سرجانا (S-1)في كليّة العلوم الإنسانيّة في قسم اللّغة العربيّة وأدبها.

تقريرا بمالانج، ١٠ يونيو ٢٠١٥
عميدة كلية العلوم الإنسانية

الدكتورة إستعاذة، الماجستير
رقم التوظيف :١٩٦٧٠٣١٣١٩٩٢٠٣٢٠٠٢

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

وزارة الشئون الدينية

جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج

كلية العلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وأدبها

تقرير لجنة المناقشة بنجاح الباحثة

لقد تمّت مناقشة هذا البحث الجامعي الذي قدمته الباحثة:

الإسم : كستيان يوليانتي

رقم القيّد : ١١٣١٠٠٨١

الموضوع : **كتاب البخلاء للجاحظ (دراسة أدبية إجتماعية)**

وقررت اللجنة بنجاحها واستحقاقها درجة سرجانا (S-1) في كليّة العلوم الإنسانيّة في قسم اللّغة العربيّة وأدبهاجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج للعام.

تقريرا بمالانج، ١٠ يولي ٢٠١٥

١. الدكتور حليمي، الماجستير ( )

٢. الدكتور أحمد خليل، الماجستير ( )

٣. الدكتور محمد فيصل، الماجستير ( )

المعرف

عميدة كلية العلوم الإنسانية

الدكتورة استعاذة، الماجستير

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

رقم التوظيف :١٩٦٧٠٣١٣١٩٩٢٠٣٢٠٠٢

شهادة الإقرار

صرحت هذه الصفحة البحث الجامعي الذي كتبته الباحثة:

الإسم : كستيان يوليانتي

رقم القيّد : ١١٣١٠٠٨١

الموضوع : **كتاب البخلاء للجاحظ (دراسة أدبية إجتماعية)**

المشرف : محمد فيصل، الماجستير

هذ البحث العلمي من إنشاءها وليس من إنشاء غيرها.

تقريرا بمالانج، ١٠ يولي ٢٠١٥

الباحثة

كستيان يوليانتي

رقم القيد : ١١٣٠٠٨١

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن التقويم، وأشكره سبحانه وتعالى على كمال الإيمان والإسلام، وعلى جميع نعمه كلها ما علمت وما لم أعلم، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد المبعوث بكمال الأخلاق الكرام، وعلى أله وأصحابه والتابعين وتابع التابعين إلى يوم الدين.

قدمت هذا البحث الجامعي تحت العنوان "**كتاب البخلاء (دراسة أدبية اجتماعية)**". إستنادا بذلك، لاثناء ولاجزاء أجدر إلى تقدم شكري وتحيتي تحية هنيئة من عميق قلبي إلى كل من قد ساهم شارك هذا البحث وكل من ساعدني ببذل سعيه في إنهاء كتابة هذا البحث الجامعي إلى:

١. فضيلة البروفيسور الدكتور الحاج موجيا رحرجا مدير جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.
٢. فضيلة الدكتور إستعاذة الماجستير، عميدة كلية العلوم الإنسانية.
٣. فضيلة الدكتور محمد فيصل الماجستير، رئيس قسم اللغة العربية وأدبها وكان هو أشرفني في هذا البحث الجامعي حتى النهاية، جزاه الله أحسن الجزاء.
٤. جميع الأساتيذ في قسم اللغة العربية وأدبها الذين بذلوا جميع علومهم وأوقاتهم.
٥. أبي العزيز المحبوب أحمد زيني وأمي إسمياتي المحبوبة، وأبي في التعلّم شهاب الدين الحاج، شكرا جزيلا على الإهتمام والشوق والمساعدة والحماسة من المواد والأدعية في طول دعائهم والرضى بما عملت، بارك الله فيهمم في صحة وعافية وسهل وطوّلهمم الله عمرا.
٦. جميع المشايخ و الأساتيذ في معهد "روضة الطاهرية" و مدرسة "مطالع الفلاح" بجاجين مرقاياسا فاطي خاصة الشيخ العالم العلامة أحمد سهل محفوظ، وفي المعهد "نور الهدى" ميرغاصانا مالانج خاصة الشيخ العالم العلامة أحمد مصدوقي محفوظ، الذين أعطوا تنوع العلوم في حياتي، لهم أحسن الجزاء.
٧. أصدقائي النبلاء في قسم اللغة العربية وأدبها للعام الدراسي ٢٠١١ خصوصا إلى من حماستي في عمل هذا البحث الجامعي والأخص لقرينتيّ ستي زهرة النساء ودرّة السنتا بارك الله لكما ولكم.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

٨. صديقاتي النبلاء في معهد "روضة الطاهرية" و معهد "نور الهدى" اللاتي جعلنني في التفاءل.

أخيرا، جزاهم الله أحسن الجزاء. وأسأل الله أن يشملنا بتوفيقه ويطول عمرنا وبارك فيه ويدخلنا في الدار النعيم، وترجوا الباحثة من القارئين إصلاح ما في هذا البحث الجامعي من الأخطاء والنقصان.

مالانج، ١٠ يولي ٢٠١٥

الباحثة

كستيان يوليانتي

رقم القييد ١١٣١٠٠٨١

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

محتويات البحث

صفحة

أ. الاستهلال ..... ج

ب. الإهداء ..... د

ج. كلمة الشكر و التقدير ..... ه

د. تقرير المشرف ..... ز

ه. تقرير رئيس قسم اللغة العربية و أدبها ..... ح

و. تقرير عميد الكلية العلوم الإنسانية ..... ط

ز. تقرير لجنة المناقشة ..... ي

ح. شهادة الإقرار ..... ك

ط. ملخص البحث ..... ل

ي. محتويات البحث ..... م

الفصل الأوّل : مقدّمة

أ. خلفية البحث ١

ب. أسئلة البحث ٣

ج. أهداف البحث ٤

د. فوائد البحث ٤

ه. الدراسة السابقة ٤

و. منهج البحث ٥

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الفصل الثاني : الإطار النظري

أ. مفهوم علم الاجتماع ٧

ب. مفهوم الأدب الاجتماعي ١٢

ت. مجتمع العراق في العصر العباسي الذهبي ١٥

ث. رواية الجاحظ ٢٠

الفصل الثالث : تحليل البيانات

أ. صورة حال مجتمع العصر العباسي الذهبي في كتاب البخلاء ٢٨

ب. صفة البخل أهل العراق صوّرها الجاحظ في كتاب البخلاء ٣٤

الفصل الرابع : خاتمة

أ. الخلاصة ٦١

ب. مقترحات البحث ٦٢

ثبت المرجع ٦٣

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

ملخص البحث

يوليانتي، كستيان، ٢٠١٥، **كتاب البخلاء للجاحظ (دراسة أدبية إجتماعية)**، البحث الجامعي، قسم اللغة العربية وأدبها بكلية العلوم الإنسانية بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج.

تحت الإشراف: محمد فيصل، الماجستير

الكلمة الرئيسية : الأدب الاجتماعي، البخلاء، العصر العباسي، رينيه ويليك.

كانت الحياة الاجتماعية والسياسية في العالم العربي تلهم الأدباء في تأليف الأدب بتحميل الرسائل الأخلاقية وصور الإجتماعية فيه. دار جلّ الأدب العربي في العصر الأموي والعصر العباسي حول البلاط. وبقي الأدب العربي، لايعالج –عموما– هموم المجتمع، رغم ارتباطه بالدين الحنيف الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. والجاحظ يحكى في *كتاب البخلاء* مجموعة قصص عن الحياة اليومية التيي يعيش فيه، والأماكن التي يزور إليه، وكانت الشخصيات في هذه القصص تمثل الرئساء، والزعماء، والحكماء، والبخلاء. كان *كتاب البخلاء* ليس فقط لتمتع الأعمال الأدبية أو تكشف جمالها ولكن يحمل فيه المعنى الأعمق الذي هو شكل من أشكال موقف الأخلاق الذميمة الذي كثير الناس يعملون، فيستطيعون في اجتنابه. لذلك يمكن أن إستخراج صور اجتماع العصر العباسي (الذي عاش فيه الجاحظ) وصور صفة البخل من مجتمعته.

أما في هذا البحث أسئلتان، أوّلا كيف صور اجتماع العصر العباسي في كتاب البخلاء؟ وثانيا كيف صفة بخل أهل العراق صوّرها الجاحظ في كتاب البخلاء؟

تستخدم الباحثة البحث الكيفي باستخدام المنهج الوصفي وتقنيات التحليل بتحليل المضمون و باستقراء سوسيولوجيا الأدب لرينيه ويليك لنيل صور الاجتماع وصور صفة البخل فيه، وعملية تحليل البيانات هي فهم رواية الجاحظ وشخصية مؤلفاته، وقراءة النص المختار كالبيانات ("طرف أهل خراسان"، "قصة أهل البصرة والمسجدين، "قصة زبيدة بن حميدة")، وإستخراج صور اجتماع العصر العباسي وصور صفة البخل من أهل العراق صوّرها الجاحظ في البيانات.

وأما نتائج البحث التي حصلتها الباحثة من هذا البحث هي أوّلا : وجود بعض عناصير الاجتماع الذي ذكرت وصوّرت في كتاب البخلاء كما يلي: ممثل المجتمع، والإقتصادية، والثقافة، والسياسية، وتطور العلوم. وأما ثانيا : صور البخل التي صوّرت في كتاب البخلاء يعني البخل في الطعام، والبخل في الأموال والأثمان، والبخل بنفسه، والبخل لغيره.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الفصل الأول

المقدمة

أ. خلفية البحث

دراسة حياة الإنسان التي يتجلى في الأعمال الأدبية مثير للاهتمام لأن الكاتب يأخذ الحياة في العالم الحقيقي كمصدر الإلهام في الأدب. ويقول رنيه وليك إن: "الأدب ناموس إجتماعي، يتخذ وسيلة له اللغة التي هي وليدة المجتمع. والأدوات الأدبية التقليدية مثل الرمزية والعروض هي بطبيعتها أدوات إجتماعية. إنها تقاليد ومستويات لم تكن لتشأ إلا في إطار إجتماعي. بل أبعد من هذا. إن الأدب ((يحاكي)) الحياة، والحياة، – في معظمتها – حقيقة إجتماعية، رغم أن عالم الطبيعة الخارجي، والعالم الداخلي الذاتي للفرد كانأيضا موضوعا ((للمحاكاة)) الأدبية"[1].

إن الولوج إلى العالم الأدبي هو بمتابة الولوج إلى الترفيه والتعليم ويمكن به للقراء الكشف على رسالة حياة الإنسان الإجتماعية، والمسائل الإجتماعية، والثقافة.

إن الأدب لايزل من السماء،، ولكن تم إنشاؤه من قبل المؤلف الذي عاش في وسط المجتمع .هناك علاقة بين الكتاب والأدب والمجتمع .لذلك، يجب وضع الأدب في الإطار الذي هو جزء لا يتجزأ من المتغيرات :المؤلف بوصفه عضوا في المجتمع، وحال الاجتماعية الثقافية والسياسة التي لها دور في تأليف الأدب والقارئ الذي سيقرئه، والتمتع به ، واستخدامه.[2]

كان الأدب في العالم العربي يبدو كلغة الإتصالات لحياة المجتمع .في العصر الجاهلي كان الأدب يتطور شفويا في شكل الشعر الذي يستخدم كوسيلة للاتصال في مختلف جوانب الحياة. بعد نزول القرآن الكريم التي تكشف عن قصص الغيب، وقصص من قوم الماضي والمستقبل مع التبشير والتنذير للدراسة وتأخذه كالقدوة، ثم

---

[1] رنيه وليك وأوستين وارن، *نظرية الأدب*، مترجم. عادل سلامة، (الرياض : دار المريخ، ١٩٩٢)، ١٣١.

[2] Wiyatmi, *Sosiologi Sastra,* (Yogyakarta: Kanwa Publisher ,2013), 8.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

العصر العباسي الذهبية الذي عرض كنوز الحضارة من خلال ترجمة النص الأجنبي، بدأ الأدب العربي يتحرك من الشكال الشفوي إلي الشكل المكتوب.

كانت الحياة الاجتماعية والسياسية في العالم العربي أيضا تلهم الأدباء في تأليف الأدب بتحميل الرسائل الأخلاقية فيه. في القرن الثامن ترجم ابن المقفّي حكاية من الهند الي اللغة العربية بعنوان كليلة ودمنة من خلال توسيع الأفكار وطرق تقديم الرسائل الأخلاقية من النص السابق .هناك رسالة هامة يمكن استخلاصها من هذا العمل.

البخلاء الذي هو موضوع هذه الدراسة تألف في القرن المقبل، الذي كتبه الأديب الذي "ولد سنة ٧٧٥م، وقد اختلف مؤرخون في أصله. واسمه عمرو بن بحر، وكنيته أبو عثمان، أمّا لقبه الجاحظ فقد غلب عليه لجحوظ عينيه"[٣]. يعتبر كتاب البخلاء مجموعة قصص يحكى فيه الجاحظ عن الحياة اليومية التيي يعيش فيه، والأماكن التي يزور إليه، وكانت الشخصيات في هذه القصص تمثل الرئساء، والزعماء، والحكماء، والبخلاء.

قال شكرا كامل إن "الجاحظ في عمله لا يصف فقط طبيعة البخل ولكن أيضا فلسفة البخل الذي احتضن على نطاق واسع من قبل بعض اللاهوتيين والفلاسفة. كشف الجاحظ في عمله على جهود شخصية لستثمار الثمرة أي العقارات. ولذلك، فإنه يشار إلى أول الأديب خاصة في كتابة قصة واقعية في تاريخ الأدب العربي"[٤].

و"كان الجاحظ غزيرة المادة، غني الطبيعة، واسع المعرفة، بل كان صدر ٨ موسوعة علمية. ويكفي أن يطلع الإنسان على لائحة مؤلفاته حتى يأخذه العجب وتستولي عليه الدهشة. فهنالك كل موضوع وكل باب من **دين وفلسفة وتاريخ واجتماع وجغرافية وطبيعات** وما إلي ذالك، وهنالك **أدب وفنّ**، وهنالك كل مطلب لكل طالب علم وطالب فكاهة، بل هناك عالم مصغّر الثقافات

[٣] حنّا الفاخوري، *الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم*، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦)، ٥٥٢.

[4] Syukron Kamil, "Sejarah prosa imajinatif (Novel) Arab dari Klasik hingga Kontemporer", Universitas Islam Negeri Syarif Hidayatullah Jakarta, 3.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

القديمة والثقافات الجديدة. وكأنّي بالجاحظ قد أراد أن يكون حكيم العصر وأديبه، ولهذا كان له في كلّ موضوع جوالة، وفي كل ميدان دولة. وهكذا كان إماما لأبناء زمانه وأستاذا لأبناء كلّ زمان[٥]".

"وأصبح كتاب البخلاء نمطا من أنماط الأدب العربي حيث تضم فيه القصص، وعلى مرور الزمان يطور هذا النمط الأدبي تطورا مرموقا حتى يظهر المقامات التي تتميز بخصائص فريدة من نوعها لها لغة جمبلة، وأسلوب بليغة المهيمنة بشجع قصير. من ناحية المحتوى تتضمن انتقادات الفردي أو الاجتماعي وتتخللها أيضا مع أشياء مضحكة"[٦].

بسبب ذلك تهتمّ الكاتبة لأخذ البخلاء كالموضوع في البحث العلمي، بالإضافة إلى استعراض البخلاء ليس فقط لتمتع الأعمال الأدبية أو تكشف جمالها ولكن أيضا معنى أعمق الذي هو شكل من أشكال موقف الأخلاق الذميمة الذي كثير الناس يعملون، فيستطيعون في اجتنابه. وبالتالي هذا البحث لا يزال ضروريا جدا.

ب. أسئلة البحث

بناء على خلفية البحث التي سبق ذكرها، والمشكلة الرئيسية التي تكون تركيزا في هذا البحث يمكن أن تصاغ في إثنين الجملة الاستفهامية فيما يلي:

١. كيف صور حال مجتمع العصر العباسي الذهبي في كتاب البخلاء؟

٢. كيف صفة بخل أهل العراق صوّرها الجاحظ في كتاب البخلاء؟

ج. أهداف البحث

بناء على تلك المشكلة، فإن الهدف في هذا البحث هو الكشف صور اجتماع العصر العباسي الذهبي وصفة بخل أهل العراق صوّرها الجاحظ في كتاب البخلاء.

د. أهمية البحث

---

[٥] حنّا الفاخوري، *الجامع في تاريخ الأدب العربي*، ٥٥٧.

[6] Syukron Kamil, "Sejarah prosa imajinatif, 4

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

ومن الناحية النظرية، هذا البحث هو البحث الأدبي باستخدام نظرية التحليل الاجتماعي، فيُرجى في هذا البحث أن يعطي الصورة عن الحالة الاجتماعية في المجتمع بصرة والقيمة الأخلاقية التي قدّمها الكاتب في كتاب البخلاء.

ومن الناحية التطبيقية، فيُرجى في نتائج هذا البحث أن ينفعها الأكاديميون الذين يهتمون عالم الأدب العربي لزيادة المعرفة عن عالم الشرق الأوسط. بالنسبة للمجتمع الوسيع، فيُرجى في هذا البحث أن يعطي المعلومات حول القيمة الأخلاقية التي لا يحسن فعلها حتى يمكن تجنبها.

ه. حدود البحث

نظرا إلى موضوعات القصة وأبحاثها في كتاب البخلاء، فحددت الباحثة المشكلة باستخدام طريقة القرعة في أخذ العينة التي تعني وسيلة لاختيار حجم العينة بحيث يمكن لكل عضو الجمهور فرصة متساوية في أن يختار العضو في العينة[٧]. تنتج البيانات كما يلي: التالية: "طرف أهل خراسان"، "قصة أهل البصرة والمسجديين، "قصة زبيدة بن حميدة"، بزعم أن هذه البيانات المختارة قد وكّلت كل المحتويات من كتاب البخلاء لأن فيها قصة أكثر مجتمع العراق.

و. الدراسة السابقة

البحث باستخدم مدخل الاجتماعي الأدبي هو كثير، وكذلك البحث باستخدام البخلاء الذي هو كموضوعي كثير أيضا، وهذا يدل على أن البخلاء هو واحد من أحسن المؤلّفات العلمية الموجودة. أم البحوث التي تتعلق بدراسة البخلاء فهي أطروحة بعنوان "النكتة في كتاب البخلاء" التي كتبها مامان لسمانا طالب دراسات عليا بالجامعة الإسلامية الحكومية شريف هداية الله جاكرتا في عام ٢٠٠٨.

[7] Husein umar, *Metode Penelitian Untuk Skripsi Dan Tesis*, (Jakarta: Raja Grafindo 1996), 82.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

وتلك الأطروحة تدل على أن الكتاب البخلاء يتضمن عناصر النكتة حوالي ١٨٪ من ٤٥٩ التسلسل الذي لا ينتشر متساويا لكل الفصل، وإنما هو البعض فقط. ولكن كل أنواع النكتة موجودة في البخلاء إلا النكتة التي صفتها غير لائقة.

آفني هدايتي طالبة كلية العلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية الحكومية مولانا مالك إبراهيم في عام ٢٠١٤، وهي قامت بدراسة البخلاء باستخدام مدخل تحليل المحتوى الذي ينتج على أن القيمة الأخلاقية الموجودة في البخلاء الذي كتبه الجاهظ هي: (١) القيمة الأخلاقية الإلهية الإيجابية والسلبية؛ (٢) القيمة الأخلاقية الاجتماعية الإيجابية والسلبية؛ (٣) القيمة الأخلاقية الفردية الإيجابية والسلبية.

خلافا على الدراسة السابقة، فإن هذه الدراسة باستخدام النظرية الاجتماعية الأدبية ومدخل تحليل المحتوى الذي يركّز على الجوانب الاجتماعية في البخلاء لفهم وتفسير العلاقة الاجتماعية في المجتمع بصرة، وليس فقط بدراسة القيمة الأخلاقية التي قدّمها الجاحظ في مؤلّفته.

ز. منهج البحث

كانت صورة البحث التي تستخدم في البحث عن مجموعة حكايات البخلاء بحثا وصفيا كيفيا. المنهج الوصفي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد فى الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا. والتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها[٨]. وقال نواوي[٩] إن المنهج الوصفي هو كمثل الإجراء لحل المشكلة التي تناقش فيها بالوصف والتصور عن أحوال الموضوع (وهو هنا "طرف أهل خراسان"، "قصة أهل

[٨]: المركز السعودية للدراسات الإستيراتيجية، ١٩٩١)، ٧٨. أمين ساعتي، *تبسيط كتابة البحث العلمي*، (الجدة

[9] Siswantoro, *Metode Penelitian Sastra Analisis Struktur Puisi,* (Yogyakarta: Pustaka Pelajar, 2010), 56.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

البصرة والمسجديين، "قصة زبيدة بن حميدة".) في الحاضر استنادا على الوقائع الظاهرة او كما كان.

البيانات في هذا البحث هي نصوص رواية "طرف أهل خراسان"، "قصة أهل البصرة والمسجديين، "قصة زبيدة بن حميدة"، ومصدرها في البحث إما ابتدائي وإما ثناوي، و أما المصدر الابتدائي لهذا البحث هو مجموعة حكايات البخلاء، وأما الثناوي هو المراجع الأخرى التي تتعلق بالقصية المبحوثة، إما أن تكون كتبا أو معاجما أو مجلات أو مقالات أو عملا أكاديميا يحتوي على الدراسات عن الأدب الاجتماعي.

يستخدم في جمع البيانات تقنيات القراءة والسماع والكتابة، وتقنيات السماع والكتابة هي أحد كيفية تحصيل البيانات باستخدام المصدر المكتوب[١٠]، وبمناسبة نظرية سوسيولوجية الكاتب فخطوته كما يلي:

١. فهم رواية الجاحظ وشخصية مؤلفاته
٢. قراءة نص "طرف أهل خراسان"، "قصة أهل البصرة والمسجديين، "قصة زبيدة بن حميدة".
٣. إستخراج صور اجتماعية العصر العباسي الذهبي وصور صفة البخل من أهل العراق صوّرها الجاحظ في نص"طرف أهل خراسان"، "قصة أهل البصرة والمسجديين، "قصة زبيدة بن حميدة".

كان هذا البحث وصفيا، وتقنيات التحليل في البيانات المستخدمة هي تحليل المضمون، وهذه التقنيات كذالك تسمى تحليل وصفي على المضمون، يعني منهج البحث الذي يستخدم مجموعة من الإجراءات لاستجلاب الاستنتاج من الكتاب أو

[10]Edi Subroto, *Pengantar Metoda Penelitian Linguistik Struktural,* (Surakarta: Sebelas Maret University Press, 1992), 42.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الوثيقة[11] ("طرف أهل خراسان"، "قصة أهل البصرة والمسجديين، "قصة زبيدة بن حميدة".

كانت تقنيات التقديم التي استخدمتها الباحثة في هذا البحث غير رسمي، يعني الصياغة بالكلمات العادية[12].

[11] Andan Wahyu Karana Kajian Sosiologi Sastra Tokoh Utama Dalam Novel *Lintang* Karya Ardini Pangastuti B.N", *Jurnal Program Studi Pendidikan Bahasa dan Sastra Jawa Universitas Muhammadiyah Purworejo*, 3 (Mei: 2013), 9.

[12] Sudaryanto, *Metode dan Aneka Teknik Analisis Bahasa,* (Yogyakarta: Duta Wacana University Press, 1993), 145.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الفصل الثاني

الاطار النظري

المبحث الأول: مفهوم علم الاجتماع

يستخدم هذا البحث المنهج الاجتماعي الأدبي الذي يركّز على الاجتماع الأدبي الموضوعي. هذا المنهج هو وسيلة لقراءة وفهم الأدب الذي صفتُه متعددة التخصصات. لذلك، كانت النقطة الأولى في هذا القسم ستشرح عن الاجتماعي ثم البيان عن النظرية الاجتماعية الأدبية والمتغيرات المتعلقة بها.

قال فيتيريم سوروكين إن الاجتماعي هو العلم الذي يبين فيما يلي[1] : (١) العلاقة والتأثير المتبادل بين أنواع الظواهر الاجتماعية (مثلا بين الظاهرة الاقتصادية بالدين والأسرة بالأخلاقية والقانون بالاقتصادية وحركة المجتمع بالسياسة، وغير ذلك). (٢) العلاقة والتأثير المتبادل بين الظواهر الاجتماعية بغير الظواهر الاجتماعية (مثل الظواهر الجغرافية والبيولوجية، وغير ذلك). (٣) الخصائص العامة لجميع أنواع الظواهر الاجتماعية.

علم الإجتماع هو الدراسة العلمية للعلاقات التي تقوم بين الناس، ولما يترتب على هذه العلاقات من آثار[2].

علم الاجتماع (حسب المعنى المفهوم هنا لتلك الكلمة التي تستخدم بمعان متعددة) هو: علم يهدف إلى فهم الفعل الاجتماعي بطريقة شارحة ويفسر بذلك أسبابه في تتابعه وتأثيراته. "الفعل" هنا سلوك إنساني (سواء كان فعلا خارجيا أو داخليا، تخليا أو قبولا)، كلما وبالقدر الذي يربط به القائم بالفعل أو القائمون به

[1] Soerjono Soekanto. *Sosiologi Suatu Pengantar. (*Jakarta: Rajawali Press, 2012), 17.

[2] محمد جوهري، *المدخل إلى علم الإجتماع*، (القاهرة:٢٠٠٧)، ٢٩

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

ذاتيا، يجب أن يكون الفعل "الاجتماعي" ذلك الفعل الذي يتبع في معناه المقصود من قبل فاعله أو فاعليه سلوك أفراد آخرين ويتوجه في تتابعه حسب ذلك[٣].

"المعنى" هنا إما (أ) المعنى المقصود فعلا من فاعل في موقف تارخي حقيقي، أو (ب) المعنى المقصود من قبل الفاعلين في المتوسط وبصورة تقريبية في عدد من الحالات، أو (ب) المعنى المقصود بشكل ذاتي في نمط مجرد بحث والذي يتصوره فاعل أو فاعلون على أنه نمط. وليس المقصود هو أي معنى "صحيح" موضوعيا أو "حقيقي" تبعا لتعليل ميتافيزيقي. وهنا يمكن ما يميز العلوم الإمبيريقية التي تدرس الفعل: علم الاجتماع والتاريخ في مقابل كل العلوم الدوجماتية (القطعية) مثل: القانون والمنطق والأخلاق والجمال، التي تبحث عن المعنى "الصحيح" و"السليم" فيما تقوم ببحثه[٤].

والنسق الإجتماعي هو أهم وحدة في دراسة علم الإجتماع. ويتكون هذا النسق من مجموعة من الناس الذي يعيشون معا ويشتركون في واحد أو أكثر من الأنشطة المشتركة (أي الجماعية). ويربطون بعضهم البعض برابطة معينة أو عدد من الروابط والصلات. ويخلق كل نسق اجتماعي عددا من الوقائع أو الأحداث الإجتماعية، أو يسمى أحيانا الظواهر الإجتماعية، وهي عبارة من أشكال أو أنماط منتظمة (أي متكررة) من السلوك يفرضها هذا النسق على الأفراد الداخلين فيه[٥].

أما بعض مصطلحات الضرورية عن علم الإجتماع يلزم ليعرف على وهي[٦]: **النسق الإجتماعى**، عبارة عن مجموعة من الأشخاص والأنشطة تتميز العلاقات المتبادلة بينهم بقدر من الثبات والإستمرار. **الوظيفة**، إن وظيفة أى عنصر من عناصر النسق الإجتماعى هي ذلك الجزء (الدور) الذى يوديه للحفاظ على النسق.

---

[٣] ماكس فيبر، *مفاهيم أساسية في علم الاجتماع*، مترجم. صلاح الدين، محمد جوهري، (القاهرة: مركز القومي للترجمة، ٢٠١١). ٢٨

[٤] نفس المرجع، ٢٩

[٥] محمد جوهري، *المدخل إلى علم الإجتماع*، ٣٠.

[٦] نفس المرجع،٣٢.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

التكامل، ترابط وتماسك أجزاء النسق الإجتماعى لكى يصبح كيانا كليا موحدا. **الثقافة**، تتكون الثقافة من أنماط النشاط الإنسائى المكتسبة المتوارثة اجتماعيا ومن الأشياء (العناصر المادية) المرتبطة بها.

النظام (الإجتماعى) عبارة عن نمط متميز من النشاط الاجتماعى والقيم التى تدور حول إحدى الحاجات الإنسانية الأساسية والتى تصاحبها طرقمتميز للتفاعل الاجتماعى. **القيمة**، تصور المجتمع للشيء المرغوب، وهو التصور الذي يؤثر على السلوك الاجتماعى لمن يعتنق هذه القيمة. **الاتجاه**، فكرة ترسم للفرد كيف يسلك على نحو ما فى موقف معين. **المعيار**، هو المستوى القياسى للسلك فى جماعة معين، وه يتيحللفرد أن يحدد سافا نوع الحكم الذى سيصدره الآخرون على أفعاله، كما يزود الآخرين بمعايير (المحكات) الموافقة أو الرفض، **التفاعل** هو العملية التى بمقتضاها تتيح للأفراد يتصلون ببعضهم أن يؤثر كل منهم على الآخرين ويتأثر بهم فى الأفكار والأنشطة على السواء. **الدور** هو نمط السلوك المتوقع من الشخص الذى يشغل وضعا اجتماعيا معينا أثناء تفاعله مع الأشخاص الآخرين الذين يشغلون أوضاعا اجتماعية أخرى داخل النسق[٧].

يمكن تحديد الفعل الاجتماعي – مثله مثل أي فعل آخر أيضا- على أنه: ١) عقلاني غئي: من خلال توقعات سلوك الأشياء في العالم الخارجي وسلوك الأشخاص الآخرين، وباستخدام تلك التوقعات بوصفها "شروطا" أو "وسيلة" لغايات عقلانية مرجوة ومتوقعة لأنها نجاح لصاحبها. ٢) عقلاني قيمي: من خلال الاعتقاد الواعي في قيم أصلية أخلاقية أو جمالية أو دينية، أو ذات تفسير أخر، لاغنى عنها لأي سلوك معين بحت وعلاقة لها باالنجاح. ٣) إنفعالي، شعوري خاصة: وذلك بفعل تأثيرات راهنة وحالات شعورية. ٤) تقليدي: من خلال العادة التي درج عليها الشخص[٨].

---

[٧] نفس المرجع.

[٨] ماكس فيبر، *مفاهيم أساسية في علم الاجتماع*، مترجم. صلاح الدين، محمد جوهري، ٥٣-٥٤.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

يرى بارسونز أن كل "فعل اجتماعي" يشتمل على ثلاثة عوامل هي: ١- الفاعل ٢- الموقف ٣- موجهات الفاعل نحو الموقف. وتنقسم موجهات الفاعل إلى الدافع أو القيمة ويمكن توضيح ذلك بالرسم الآتي[٩]:

وعلى ذلك فإن بارستونز كون ثلاثة أنساق تحليلية هي: نسق الشخصية، والنسق الاجتماعي، والنسق الثقافي[١٠].

هناك المشكلة الشديدة في المجتمع يعني **الانحراف**، والمقصود بالانحراف هو السلوك الذى يخرق المعايير السائدة فى النسق الاجتماعى ويعتدى عليها، ويستثير جهودا إصلاحية من جانب أجزاء ذلك النظام لرد هذا المعتدى إلى جادة الصواب. الجريمة: وتضم الجرائم التقليدية ضد الأشخاص والثروة والدولة، والإبتكارات الإجرامية الحديثة كجرائم الأصحاب الياقات البيضاء (أى جرائم الأشخاص الذين يعتبرهم المجتمع محترمين، وليسوا من نوع المجرمين التقليدية) كجرائم الرشوة، واستغلال النفوذ، والاعتداء على المال العام، ومخالفات نظام المرور، وبعض صور الخروج على القانون الأخرى: (أ) الانحراف الجنسى: كالجنسية المثالية، والزنا، والبغاء، (ب) الأشكال المنحرفة من الإستهلاك: وخاصة الإدمان على الحكول وعلى

[٩] محمد عبد المعبود موسى، *علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي*، (مكة: دون الطبع، ٢٠٠١)، ٧.
[١٠] نفس المرجع، ٧ .

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

العقاقيرالمخدرة، (ج) أساليب الحياة ذات الطابع الانحرافى: مثل الحياة فى مناطق الملاى المنحطة الموجودة فى أغلاب المدن الأوروبية والتى كان يتردد عليها العمل المهاجرون والساكيرون والمتشردون، والعصابات التى تستخدم الراجات البخارية، والمقامرين المتحرفين،وطلاب الجامعات الفاشلين[١١].

المبحث الثاني: الأدب الإجتماعي

شاع مصطلح "سوسيولوجيا الأدب" أو علم إجتماع الأدب فيما يخص العمل الإبداعي ومعنى المصطلح العلاقة بين الأدب والمجتمع وبين الشاعر والسلطة وبينه وبين الجمهور الواقعي والمتخيل ويمكن أن نلخص ذلك باالنص التالي من كتاب "سوسيولوجيا الأدب" لروبير أسكاربيت في النص الذي ضمن في كتاب علم اجتماع الأدب[١٢]:

"أن الأديب عندما يكتب يستحضر باالضرورة جمهور الأدب. حيث يفترض أن الأديب عندما يكتب يستحضر باالضرورة جمهورا معينا بصرف النظر عن عدد أفراده أو نوعيتهم. وهذا الجمهور ذو أثر سلبي أحيانا أخرى حسب نوعيه الجمهور ومدى تدخله في التأثير على المبدع وعلى الناشر. وبصفة عامة يبرو أسكاربيت الدور القوي الذي يمارسه الجمهور – أي المجتمع – في توجيه الأنواع الفنيه والأساليب مشيرا إلى قول بوفون المشهور: الأسلوب ليس هو الإنسان فقط بل هو المجتمع أيضا. ويعطى نماذج عديدة على هذه المسألة. ومع ذلك فإن المؤلف لايعتبر أن نجاح الكتاب جماهريا يعني بالضرورة نجاحه الفني."

استنتج دامونو[١٣] على أن الاجتماعي أو الأدب لديهما نفس موضوع الدراسة، وهما الإنسان والمجتمع، وفهم العلاقات بين الناس والعمليات الظاهرة عن ذلك العلاقات في المجتمع، ودراسة المؤسسات والعملية الاجتماعية، والمعرفة كيف يمكن للمجتمع، وكيف يتطور المجتمع، وكيف يبقى المجتمع في الحياة. فكان الادب

[١١] محمد جوهري، *المدخل إلى علم الإجتماع*، ٣٢.
[١٢] داوود سلوم، *سوسيولوجيا النقد العربي القديم*، (القاهرة: مؤسسة المختار، ٢٠٠٢)، ٤٥.
[13] Wiyatmi, *Sosiologi Sastra*, 7.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

تسلل واخترق إلى سطح الحياة الاجتماعية ويدل كيفية إحساس المجتمع وشعورها للانسان، والقيام بالدراسة ذاتيا وشخصيا.

لا يقل عن ثلاثة نماذج أساسية في علم الاجتماع الذي قاله ريتزر وهي نموذج الواقع الاجتماعي، ونموذج التعريف الاجتماعي، ونموذج السلوك الاجتماعي. أما في النموذج الأول الذي أصبح أصل القضية الاجتماعية أنها الوقائع الاجتماعية التي تشكل المؤسسات والبنية الاجتماعية. ويعتبر الواقع الاجتماعي نفسه كشيء حقيقي، يختلف من الفرد وخارجه. والنموذج الثاني هو نموذج التعريف الاجتماعي، والمرجعية لهذا النموذج هي مارك ويبير. تركّز مؤلفات ويبير على اهتمام كيفية الأفراد لتعريف الحال الاجتماعي منهم مع تأثير لذلك التعريف للعمل الذي يتبعه. أما أصل القضية الاجتماعية في هذه الحالة فهو وسيلة ذاتية من الشخص لنظر الحقائق الاجتماعية. والذي يعتبره أصل القضية الاجتماعية من خلال النموذج الثالث هو سلوك الانسان الذاتي الحقيقي والفردي[١٤].

نظرا إلى العلاقة بين الاجتماعي والأدب، كان سويغوود يتوسط النظرة الإيجابية. وهو لا يوافق إلى النظرة التي تعتبر أن الادب كمادة ثانوية فقط. ويذكر في تحليل الاجتماعي الأدبي والنقد أن ينبغي حذرا في تفسير شعار "الأدب هو المرايا للمجتمع". والتالي، ذكر أن ذلك الشعار ينسى المؤلف، والوعي، والغرض. أدرك سويغوود أن الادب الذي جعله المؤلف هو باستخدام مجموعة المعدات المعينة[١٥]. العلاقة بين المجتمع والأدب علاقة متينة حتى قيل: "الأدب تعبير عن المجتمع"[١٦].

---

[14] Faruk, *Pengantar Sosiologi Sastra dari Strukturalisme Genetik sampai Post-Modernisme,* (Yogyakarta: Pustaka Pelajar, 2012), 3.

[15] Sapardi Djoko Damono, *Pedoman Penelitian Sastra,* (Jakarta: Pusat Bahasa, 2002) 11.

[١٦] أميل يعقوب، *الأدب العربي: فوّاز الشعار*، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٩)، ١٦٠

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

كان الأدب مناسبة بالاجتماع، نموذج الأدب يعتقد كمحاولة لإعادة العلاقة الإنسانية مع الأسرة والمجتمع والسياسة والدين وغيرها. بإمكانه ليكون إحدى الخياري عن الناحية الجميلة لإقتضاء حال المجتمع وتطورها[١٧].

الأدب الذي ألفه الكبار يصف القلق والأمل وطموح الإنسان. لذلك، ربما هو واحد من مقياس الاجتماعي الاكثر فعالية لقياس استجابة الإنسان إلى قوة اجتماعية[١٨]. وقال لوينتاه إن الأدب هو مسألة المجتمع مكتوبة لثم قراءتها الجمهور[١٩].

مشكلة النقد التقويمي، ربما نفصل العلاقات الفعلية بين الأدب والمجتمع. فهذه العلاقات الوصفية (التي تتميز عن المعيارية) أكثر قابلية للتصنيف. هناك **أولا سوسيو لوجية الكاتب** ومهنة الأدب ونراميسها، وكل ما يتعلق بالأساس الإقتصادي للإنتاج الأدبي، والأصول الإجتماعية للكاتب ومترلته، وفكره الإجتماعي الذي قد يجد سبيله إلى التعبير عبر قنوانات أخرى غير الأدب. وهناك **مشكلة المحتوى الإجتماعي**، أو **المضامين والأهداف الإجتماعية للأعمال الأدبية ذاتها**. وهناك أخيرا **مشاكل الجمهور المتلقي، والتأثير الإجتماعي الفعلي للأدب**. إلى أي مدى يتحدد الأدب نتيجة للوضع الإجتماعي، أو التغيير والنمو الإجتماعين؟ أو يكون الأدب معتمدا على هذه العوامل؟ هذا سؤال يدخل في المجالات الثلاث لمبحثنا: سوسيولوجية الكاتب، والمحتوى الإجتماعي للأعمال الأدبية ذاتها، وتأثير الأدب على المجتمع. وعلينا أن نقرر ما نعني بالإعتماد أو السببية. ونصل في النهاية إلى مشكلة التكامل الثقافي[٢٠].

بما أن كل كاتب عضو في مجتمع، فإنه يمكن دراسته ككائن أجتماعي. ورغم أن سيرته ستكون المصدر الأول، إلاّ أن مثل هذه الدراسة قد تتسع فتشمل كامل

---

[17] Alan Swingewood, dan Diana Laurenson, *The Sociology of Literature,* (Paladine: 1972), 6.

[18] Sapardi Djoko Damono ,*Pedoman Penelitian Sastra,* 12.

[19] Alan Swingewood, dan Diana Laurenson, *The Sociology of Literature,* 48.

[٢٠] رنيه وليك وأوستين وارن، *نظرية الأدب*، ١٣٣.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

البيئة التي جاء منها وعاش فيها. وسيمكن جمع المعلومات عن الأصول الإجتماعية، والأسرية، والموقف الإقتصادي للكاتب.

المبحث الرابع: مجتمع العراق في العصر العباسي الذهبي

إن في دراسة الأدب الاجتماعي مهم علينا لنعرف البيئة الذي يألف الأدب فيها. عاش الجاحظ في العراق بالعصر العباسي الذهبي وقد عرفنا جيدا أن أكثر من مألفات الجاحظ خاصا *كتاب البخلاء* كان صورة تعتبر المجتمع الذي عاش الجاحظ حوله، لذلك يبحث في هذا المبحث عن مجتمع العراق في العصر العباسي الذهبي من ناحية السلطة، والحياة الاجتماعية، والأدب مع خصائصه.

عاش الجاحظ حوالي سنة ١٥٩ه حتى سنة ٢٥٥ه أي في عصر العباسي الذهبي. توفي محمد المهدي عام ٧٨٥م وأخذت البيعة لابنه موسى الهادي، غير أن حكمه لم يطل إذ توفي عام ٧٨٦مفسحا المجال أمام أخاه هارون الذي خلع عليه والده لقب الرشيد في أعقاب إحدى الغزوات التي انتصر فيها على البيزنطينيين، لاستسلام السلطة[٢١].

كثر العمران في أيام هرون الرشيد واستبرحت الحضارة وعمّ الترف وازدهرت العلوم والآداب وعظمت هيبة الدولة. ويعد عصر هرون الرشيد ذروة القوة السياسية للعرب وأزهى مابلغت إليه عصورهم في العمران والحضارة والأدب والعلوم[٢٢].

توفي هرون الرشيد عام ٨٠٩م في خراسان[٢٣]. وخلف هرون الرشيد ثلاثة من بنيه: الأمين والمأمون والمعتصم. وكان الرشيد قد قسم الإمبراطقية سنة ٧٥ه (٧٨٩م) بين الأمين والمأمون. فأوصى للأمين بالملك على غرب الإمبراطقية (بغداد وما يقع غربها) حيث يسود العنصر العربي ويكثر أنصار الأمين، وأوصى للمأمون بالملك على

[21] Abdul Azeez. V.M, *History ofArabic Literatur*, (Kerala: tanpa Penerbit, 2011), 12

[٢٢] عمر فرّوخ، *المنهاج الجديد في الأدب العربي*، (بيروت: دار العلو الملايين، ١٩٦٩)، ١٨.

[23] Abdul Azeez. V.M, *History ofArabic Literatur*, 13.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

شرقي الإمبراطقية (ما يقع شرق بغداد) حيث يكثر العنصر الفارسي وأنصار المأمون. ويبدو أن القسمة على هذا الشكل كانت راجعة إلى أن أم الأمين كانت عربية بينما أم المأمون كانت فارسية. وسرعان ما نشب النزاع بين الأخوين وانتهى بمقتل الأمين (١٩٩ ه = ٨١٣ م) وإعادة وحدة الإمبراطية تحت سلطة المأمون[٢٤].

تفرّد عهد المأمون بتشجيع مطلق للعلوم من فلسفة وطب ورياضيات وفلك واهتمام خاص بعلوم اليونان، وقد أسس الخليفة عام ٨٣٠م جامعة بيت الحكمة في بغداد والتي كانت من كبريات جامعات عصرها، واخترع في عهده الآسطرلاب وعدد من الآلات التقنية الأخرى، وحاول العلماء قياس محيط الأرض ما يدلّ على الإعتراف بكروتيها من ناحية وتطور العلوم من ناحية ثانية، وقد تكون عمليات الترجمة التي رعاها هو وحاشيته وولاته، أبرز سمات عهده، إذ نقلت خلالها العلوم والآداب السريانية والفارسية واليونانية إلى العربية، إكتسب من خلالة اللغة العربية مكانة مرقومة إذ تحولت من لغة شعر وأدب فحسب إلى لغة علم وفلسفة. وكذلك فقد ساهمت عمليات الترجمة في إرساء منسوب ثقافي عال في الدولة، وقد أثر الإنفتاح الثقافي على المعتقدات الدينية. وتوفي ودفن بطرسوس شمال بلاد الشام في ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣م، الموافق فيه ١٩ رجب سنة ٢١٨ه. وأخذت البيعة لأخاه محمد المعتصم بالله الذي بنى مدينة سمارا[٢٥].

كانت مدينة سمارا على أربعين كيلومترا شمال بغداد. ويحسن أن نذكر أن أم المعتصم كانت تركية. من أجل ذلك أصبحت سامرا في فترة من الزمن عاصمة للخلافة العباسية. وقد حدث في خلافة المعتصم حدثان هامان: الفضاء على فتنة بابك

[٢٤] عمر فرّوخ، *المنهاج الجديد في الأدب العربي*، ١٨.

[25] Abdul Azeez. V.M, *History ofArabic Literatur*, 13.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الحرميّ وقطع دابر الفتن السياسية الدينية. ثم فتح عمورية (في آسية الصغرى) وخضد شوكة الروم[٢٦].

كان يتوزع مجتمع العصر العباسي الذهبي الثاني ثلاث طبقات أساسية. طبقة عليا تشتمل علي الخلفاء والوزراء والقواد والولاة ومن يلحق بهم من الأمراء وكبار رجال الدولة ورموس التجار وأصحاب الإقطاع من الأعيان وذوي اليسار ، وطبقة وسطي تشتمل علي رجال الجيش وموظفي الدواوين والتجار والصناع الممتازين، ثم طبقة دنيا تشتمل علي العامة الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق، ويأتي في إثر تلك الطبقات أهل اللغة[٢٧].

وإذا عرفنا أنه كان يسكن بغداد بضعة ملايين في تقدير بعض المؤرخين عرفنا كثرة من كان بها من التجار والصناع ، ونجد من كبارهم من كان يربح في صفقة واحدة ألوف الدنانير ، أما أوساطهم فقلما كان يزيد رأس أموالهم في تجاراتهم على ثلاث آلاف دينار ، وكان الناس يودعون أموالهم لدي بعض التجار الأمناء للاتجار لهم بها مناصفة فى الأرباح[٢٨].

وتأتى بعض ذلك الطبقة العامة من الرعية ، وهي التى كان يقع عليه عبء العمل كله فى الزراعة وفى الصناعات الصغيرة وفى خدمة أرباب القصور ، فهي التى تعمل فى الإقطاعات والضياع، وهي التى تقوم على تقديم أسباب الحياتين للطبقتين الوسطى والعليا ، عاملة تارة أو صانعة ، أوخادمةتارة ثانية[٢٩].

ووراء تلك الطبقات الدنيا والوسطى والعليا كان هناك عدد ضخم من أهل الديانات الأخرى ، من النصارى واليهود والمجوس والصابئة ، وكانوا يسمون أهل الذمة إشارة إلى أنهم فى ذمة الإسلام وعهده ورعايته وما وضعه من مبادئ التسامح

---

[٢٦] عمر فرّوخ، *المنهاج الجديد في الأدب العربي*، ١٩ .
[٢٧] شوقي ضيف، *العصر العباسي الذهبي الثاني*، (القاهرة: كورنيش نيل، ١١١٩)، ٥٣.
[٢٨] نفس المرجع، ٦١-٦٢.
[٢٩] نفس المرجع، ٦٢.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الرائع ، فإذا هم يصانون ويُحرسون ، ويُحرس نساؤهم وأسراهم ، حتى لسصبح لكل أهل ملة منهم كيانهم الخاص فلهم معابدهم ولهم رؤساؤهم الدينيون : للنصارى مثلا الجاثليق والبطرك . ولهم محاكمهم الخاصة التى تفصل بينهم خصوماتهم[٣٠].

إن البيئة العربية لم تنقلب فجأة، بل بدأ التبدل فيها منذ خرجت جيوش الفتح إلى أقطار الا لم في الشرق والغرب. ومنذ أخذ الإسلام يسود بين غير العرب. ومنذ شرع البدو يتخلون عن سكني البادية ويترلون الحواضر. ومنذ شغف الفاتحون العرب الساميون بالجمال الأري فتزوجوا الفارسيات والتركيات والروميات. إلا أن هذا التبدل التدريجي كان قد بلغ مع قيام الدولة العباسية مبلغا لفت الأنظار وغطى على خصائص الشعر البدوي الأولى[٣١].

وقد نتج من ذالك احتكاك العرب بغيرهم من الأمم واقتباسهم أمورا كثيرة من أوجة الحضارة المادية ومن أساليب التفكير. ثم إن الموالي (المسلمون من غير العرب) الأولين احتفظوا بكثير من أساليب تفكيرهم ومن عاداتهم في الجدال خاصة، وأخذوا يتسائلون عن كثير مما في الأسلام من فروض وأحكام وعقاشئد – بعد الموازنة بينها وبين ما عرفو في أديانهم القديمة – كالتفريق بين ذات الله وصفاته، والبحث في شأن الجنة والنار وفي أعمال الإنسان. وهل هو مخير يأتي أعماله حرا مختارا أم مسير مجبر علي أعماله. فتنشأت منذ أواسطالأموي حركة الإعتزال ثم اتسعت في العصر العباسي الذهبي اتسا كبيرا. الإعتزال حركة فكرية تقوم على أن العقل وحده حكم في جميع الأمور حتى في العقاعد. لم يضق صدر الإسلام بهذه الحركة. لأنها حركة أصلية فيه، ولكن أهل الدولة حملوا الأمر على ظاهره فكانوا إذا ضاقوا ذرعا بخصم سياسي ثم

---

[٣٠] نفس المرجع، ٦٤.
[٣١] عمر فرّوخ، *المنهاج الجديد في الأدب العربي*، ١٤-١٦.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

وجدوا عنده شيئا من حرية الفكر قالواعنه عنده زنديق وأخذوه في الظاهر بهذه التهمةبينما هم كانوا في باطنهم ينقمون منه خصومة السياسة[٣٢].

وكان أبعد الأسباب أثرا في تبدل المجتمع الإسلامي الزواج بغير العربيات. فقد تبدلت به الحياة البيتية في المطعم والملبس وادب السلوك وفي نشوء جيل له عمومة عربية وخؤولة فارسية أو رومية أو تركية. وبينما كان العرب الأولون خلصا لايرون للأمم لى العرب فضلا في شيء. هذه التسوية بين العرب وبين غير العرب هي التي سماها أهل الحمية العربية: ((الشعوبة))[٣٣].

وكان في البيئة العباسية طبقة أثرت في حياة المحدثين تأثيرا عميقا، تلك هي طبقة الجواري. والجارية في الأصل هي الفتاة، أو الفتية من النساء، ولكنها أصبحت تطلق على الأمة – أي الجارية المملوكة. على أن الجواري في العصر العباسي الذهبي لم يكن يمتهن في خدمة البيوت، أو إننا نحن هنا لانعني هؤلاء منهن. بل كان هنالك أستاذون وأستاذات يعلمون الجواري أصناف العلوم كالفقه وأنواع الفنون كالغناء والرقص والشعر، حتى إنهن كن يتخذن للمباهة والمناظرة. وقد يبلغ ثمن جارية مثل هذه مئات ألوف الدراهم أو النانير. وقد زعموا أن محمدا الأمين أغري ابن عمه جعفرا بمليون دينار حتى رضي أن يبيعه جارية عنده إسمها بذل. وكان بعض هؤلاء الجواري شاعرات[٣٤]. ورغب الناس في الزواج بالجواري فأنجين الأولاد، وكثيرا ما كان أبناء الجواري أشهر وأقدر من أبناء الحرائر، نعد لك من هؤلاء المنصور الرشيد والمأمون والمعتصم.[٣٥] إلاّ أن كثرة الجواري في بيوت الخلفاء والأمراء وفي مراتع اللهو كان أيضا مدعاة إلى الفساد الإجتماي الذي أنّت من البيئة العباسية ولقد زاد في هذا الفساد نشوء طبقة الغلمان والخصيان[٣٦].

---

[٣٢] نفس المرجع، ١٩.
[٣٣] نفس المرجع، ٢٠.
[٣٤] نفس المرجع، ٢٠.
[٣٥] نفس المرجع، ٢١.
[٣٦] نفس المرجع، ٢١.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

إن الأدب الذي ساد في صدر الدولة العباسية يسمى الأدب العباسي نسبة إلى الدولة التي قيل في أيامها، ويسمى الأدب المولد لأن معظم الأدباء فى ذلك العصر كانوا مولدين (مولودين من أبوين أحدهما عربي والآخر غير عربي)، أو الأدب المحدث لأن أولئك الأدباء كانوا محدثين (جددا أو متأخرين بالإضافة إلى أدباء الجاهلية وأدباء العصر الأموي). ثم إن الأدب نفسه كان، بهذا المعنى، مولدا: لم يكن عربيا خالصا في معانيه وأسلوبه، فقد دخل في الأدب العربي فنون وأغراض ومعان لم يألفها الأدب العربي من قبل كالغزل المذكر والخمريات والتوفر على الأوصاف الحضرية وإهمال العصبية العربية البدوية[٣٧].

اتسع الوصف في عصر العباسي الذهبي اتساعا كبيرا وتناول مظاهر البيئة الجديدة: الهياكل والحنائن، والمطاعم والملابس، والخمر والزهر. ثم تعرّض الشعراء للأحوال الفكرية والإجتماعية من إدخال مدارك النحو والمنطق والفلسفةفي الشعر ومن وصف مجالس الغناء. وكذالك اتسع التحليل النفسي، إن أخذ الشعراء خاصة ينظرون إلى ماوراء أعمال الإنسان الظاهرة فتكلموا في الصبر والمكر واستقرأوا شور السكران والغضبان والثاكل والمهزوم والغني والمتكبر والكريم والبخيل، كما نرى عند معظم الشعراء، وعند أبي نواس وابن الرومي على الأخص. ولقد اقتضى ذلك كله أن يحاول الشاعر أن يستوفي كثيرا من عناصر الوصف والتحليل في مكان واحد من قصيدته وفي أبيات متتالية فنشأ شيء من وحدة الموضوع أو برزت وحدة الموضوع فالشعر العبّاسي بروزا ظاهرا[٣٨].

---

[٣٧] نفس المرجع، ٢٢.
[٣٨] نفس المرجع، ٢٣.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

المبحث الخامس: رواية الجاحظ

هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكناني صاحب التصانيف الممتعة والرسائل المبدعة[٣٩]. إشتهر بلقبه الدال على نتوء حدقتيه وجحوظهما[٤٠]، وقيل إنه من كنانة، وقيل بل هو كناني ولاء وإن جده فزارة كان عبدا أسود جمّالا لعمرو بن قلع الكناني. واختلف في السنة التي ولد فيها، والمظمون أنه ولد في العقد السادس من القرن الثاني للهجرة، وكأنه عاش ما يقرب من مأة سنة. ويروى عنه أنه قال في أواخر حياته يشكو من الفالج (الشلل) والنقرس (الروماتزم): "أنا في هذه العلل المتناقضة التي يتخوف من بعضها التلف، وأعظمها من ست وتسعون سنة"[٤١].

وأقام الجاحظ أكثر عمره باالبصرة يعيش معيشة الأدباء والعلماء، محبوبا لولاتها وأعيانها. فمات بها ودفن بمقبره الحيزران[٤٢] سنة ٢٥٥ ه[٤٣].

وقصد بغداد للتزيّد من العلم وكانت بغداد في عهدى الرشيد وابنه المأمون في أوج الأزدهار الإقتصادى والثقافي, وقد احتشد فيها العلماء كما احتشدوا في البصرة والكوفة، واشتد فيها التراع بين الملل والنحل، ولا سيما في عهد المأمون الذى انحرف الى المعتزلة وأطلق حرية النقاش الفلسفي والعلمي والديني[٤٤].

وتعلم الجاحظ على الأدباء المسجديين (وهم الذين كانو يجتمعون في المسجد الجامع في البصرة). غير أنه استفادا كثيرا من مطالعته الخاصة[٤٥]. والجدير بالذكر أن الجاحظ احتك بعدد كبير من العلماء أخذ عنهم وناقشهم كالأصمعي شيخ اللغة

---

[٣٩] أحمد الأسكندري و مصطفى عناني، *الوسيط في الأدب العربي وتاريخه* (مصر: دار المعارف، ١٩١٦)،٢٢٢.

[٤٠] شوقي ضيف، *العصر العباسي الذهبي الثاني*، (القاهرة: كورنيش نيل، ١١١٩)، ٥٨٧.

[٤١] نفس المرجع، ٥٨٧.

[٤٢] الحيزران هي أم الرشيد

[٤٣] أحمد الأسكندري و مصطفى عناني، *الوسيط في الأدب العربي وتاريخه*، ٢٢٤.

[٤٤] حنّا الفاخوري، *الجامع في تاريخ الأدب العربي*، ٥٥٣

[٤٥] عمر فرّوخ، *المنهاج الجديد في الأدب العربي*، ٣٢.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

والأخبار والنوادر، وأبي زيد الأنصاري إمام الأدب واللغة ، و الأخفش سيد أهل النحو[٤٦].

ولما نكب الخليفة المتوكل وزيره ابن الزيات وقتله في سنة ٢٣٣ ه (٨٤٨) م انقطع الجاحظ إلى القاضي أحمد أبي دؤاد. وكان من قبل كثير العداء له كثير التعريض به. فقد قال فيه: " كان ابن أبي دؤاد أعلم ما هو أعلم بالفقه، وكان لايعلم من الفقه شيئا". ومع ذلك فقد عفا ابن أبي دؤاد عن الجاحظ وقربه وأحسن جوائزه. ثم اتصل الجاحظ بالفتح بن خاقان ونال عنده حظوة حتى قتل المتوكل ووزيره الفتح في سنة ٢٤٧ ه (٨٦١م)[٤٧].

كان الجاحظ كما يدل لقبه، جاحظ العينين (أي بارزهما) أسود دميم الخلق قصيرا، ولكنه قوي البنية نشيط الجسم. وكان الجاحظ في أول أمره ضيق الرزق. ولم يبزغ نجمه وتقبل الدنيا عليه إلا حينما انتقل من البصرة إلى بغداد سنة ٢٠٤ ه. ثم علا نجمه لما تصل بوزير المعتصم، محمد بن عبد الملك الزيات، فأصبح من الموسرين[٤٨].

أما شخصيته كما قال أبو القاسم البلخي: كان الجاحظ من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيث شاع ذكر، وعلا قدره، واستغني عن الوصف. وكان رجل العلم والعمل. حدث أبو هفّان قال: "*لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ماكان حتى إنه كان يكترى دكاكين الورّاقين و يبيت فيها للنظر*". وقال للرزباني: "*كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام، وكان واسع العلم بالكلام، كثير التبحر فيه، شديدالضبط لحدوده، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا*[٤٩]."

---

[٤٦] حنّا الفاخوري، *الجامع في تاريخ الأدب العربي*، ٥٥٣.
[٤٧] عمر فرّوخ، *المنهاج الجديد في الأدب العربي*، ٣٢.
[٤٨] نفس المرجع.
[٤٩] ياقوت الحموي، معجم الأدباء ١٦، ٧٤-٧٥

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

وكانت ثقافة موسوعية تتناول كل فن وكل مطلب، وقلما نجد فرعا من فروع المعرفة لم يجر فيه لسانه وقلمه. وهكذا فقد جمع ما بين علم الأقدمين وعلم المحدّثين. وكان رجل الطموح الذي أراد أن ينافش أكابر الكتّاب و المفكرين[٥٠].

وهو رجل جد وهزل وسخرية ينظر الي الحياة نظرة واقع، فيعالجها بالجد طورا، وبالهزل الأخرى. وهو رجل اعتماد على النفس يبصدف عن كل العم فيه ملق وتزلف ومذلته، ويميل إلى كل عمل فيه تحر واعتماد على العقل. قال الجاحظ : إذا سمعت الرجل يقول: ما ترك الأول اللاخر شيأ. فاعلم أنه ما يريد أن يفلح[٥١].

المبحث السادس: مؤلفات الجاحظ وخصائصها

وكان الجاحظ ميّالا، منذ حداثته، إلى تحكيم العقل، فعندما بلغ اعتنق مذهب المعتزلة أصحاب الرأي، وكان لأبي إسحق إبراهيم بن سيّار النظام شيخ المعتزلة أثر كبير في هذا التوجيه، تتلمذ له الجاحظ وترك لنا فيه أجمل الأقوال[٥٢].

وله أكثر من مأتي كتاب، طبع منها في مصر كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان، وكتاب البخلاء، وكتاب التاج (في أخلاق الملوك) ومجموع لبعض رسائله[٥٣].

ويعدّ الجاحظ أكبر كاتب ظهر في العصر العباسي الذهبي، وهو في الحق الثمرة الناضجة لكل الجهود العقلية الحصبية التي نهض بها المعتزلة، سواء من حيث وضوح المنطق أو من حيث قوة الإستدلال أو من حيث القدرة على التوليد للمعاني، وكأنه يستمد من محازن عقلية لاتنفد، ولاحظ ذلك إبن المعتز وغيره من القدماء عنده، فقالوا إنه يستخدم المذهب الكلامي في كتاباته[٥٤].

---

[٥٠] شفيق جبري، *الجاحظ معلم العقل والأدب*، (القاهرة: دون الممطبع، ١٩٤٨)، ٧٣

[٥١] ياقوت الحموي، معجم الأدباء ج ١٦، ٧٨.

[٥٢] حنّا الفاخوري، *الجامع في تاريخ الأدب العربي*، ٥٥٣.

[٥٣] أحمد الأسكندري و مصطفى عناني، *الوسيط في الأدب العربي وتاريخه*، ٢٢٤ .

[٥٤] شوقي ضيف، *العصر العباسي الذهبي الثاني*، ٥٩٢.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

ومن أجل ذلك قال إبن العميد عنه عبارة المأثورة: "إن كتب الجاحظ تعلم العقل أولا ةالأدب ثانيا" بما يستنبطه من خفيات المعاني وما يثيره من دقائق الفكر في الروح والجسم والحواس والخير والشر والجوهر والعرض، بل أيضا من خفايا المجتمع الذي عاشه وظواهره وما فيه من أخلاق وغير أخلاق مما يتصل بطبقاته الشعبية من لصوص ومكدين ورقيق وقيان وغير قيان وما يتصل بطبقاته الوسطى من تجار وموظفين في دواوين وعلماء وشعراء وما يتصل بطبقاته العليا الحاكمة وغير الحاكمة من خلماء ووزراء ورؤساء[٥٥].

قرأ الجاحظ أكثر الكتب المعروفة في زمنه إسلامية ومنقولة، فاستخلص بذكائه العجيب من كل ذلك علوما جمة، فألف أشتاتها على تنافرها، ونسق ضروبها مع تضاربها، فتطامن له بلطفه شامخها، وانقاد له بحسن رياضته حرونها فتهيأ لملكته منها جملة مطاوعة لإرادة يستنبط منها ما شاء، ويصرّفها أنّى شاء. وانتحل لنفسه من طرق البلغاء والمصنفين طريقة كان أبا عذرتها، وابن بجدتها[٥٦].

وقد ذكر للجاحظ نحو ثلاث مئة وستين مصنفا في شتّى فروع المعرفة حتى قال فيه المسعودي: "*ولا يعلم أحدٌ من الرُّواة وأهلِ العلم أكثر كتبا منه*". وقد لا يخلو هذا من مغالاة، وقد تكون مؤلفات الجاحظ نحو مئة وسبعين كتابا. ومهما يكن من أمر فأبو عثمان بحر لا يوقف على ساحله، ولكن الأيام قد عبثت بتلك الآثار فلم يصل إلينا منها إلا القليل ككتاب الحيوان، وكتاب البيان والتبين، وكتاب البخلاء، ورسالة التربيع والتدوير[٥٧].

قد تناول الجاحظ، وهو من أعظم ممثلي هذه الحضارة العربية وأبلغ المعبرين عنها، موضوع الإنسانية والعنصرية في معظم كتبه ورسائله، وبحث في مختلف جوانبه، من التمايز والتفاضل بين أفراد المجتمع، إلى التفاضل بين الأمم والشعوب. وبحث هذا

---

[٥٥] نفس المرجع.
[٥٦] يقال فلان أبو عذرة هذا الأمر أي أول من سبق إليه، وابن بجدة هذا الأمر أي العالم به.
[٥٧] نفس المرجع.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الموضوع على فلسفة متكاملة في الإنسان، وبمنهج علمي منطقي محدد. وعلى أساس من نظرة أخلاقية مستدة من هذه الفلسفة، ومستخلصة بهذا المنهج. فكان من الضروري أن أقدم للبحث بخلاصة وجيزة عن فلسفة في الإنسان، ومنهجه الكلامي العلمي البحث. وأعرض بعدها رأيه في العرب والأمم الأخرى[٥٨].

تقوم فلسفة الجاحظ في الإنسان على أساس هو أهم مخلوق في العالم، ويمتاز عن سائر الحيوان بالعقل والمعرفة والإستطاعة وحرية الأخيار. ويؤكد الجاحظ على العلاقة القائمة بين الإنسان وبين البيئة الطبيعية والإجتماعية. ويتعمق في ذلك ويتوسع، متعمدا على معرفته الموسوعة بتراث العرب والأمم الأخرى، وعلى مشاهدته الشخصية، حتى كان بحق رائد الجغرافية البشرية في اللغة العربية ومن كبار روادها في الآداب العالمية وهو يعني بالبيئة الطبيعية: الأرض وتربتها وماءها وهواءها وحرارتها وبرودتها وما فيها من نبات وحيوان، ويعني بالبيئة الاجتماعية: المنشأ والتربية والمهنة والصناعة والعادة والعقيدة وما إلى ذلك من نظم وتقاليد في المجتمع[٥٩].

للجاحظ في كتبه أسلوبان: **أسلوب أنيق** (فيه صنلعة وموازنة وسجع وتأنق في اختيار الألفاظ وترديد للمعنى الواحد في تراكيب مختلفة)، ويكاد يكون هذا الأسلوب مقصورا على مقدمات كتبه ومطالع فصوله. ثم له **أسلوب** يجري فيه على السلقية ويعالج به الموضوعات التي يتناولها في متون كتبه. والجاحظ في أسلوبه فصيح الألفاظ متين التركيب يمزج الجد بالهزل ويكثر التهكم، كما يكثر من الإستطراد. وكان الجاحظ يفعل ذلك ترويحا عن القارئ ودفعا للملل عنه[٦٠].

إنه لمن الصعب جمع مؤلفات الجاحظ في فئات مرتبة على حسب مادّتها لأن الكثير منها مختلف الموضوعات, متعدد المباني. ومن ثم كان تقسيمنا التالي لآثار

---

[٥٨] محمد توفيق حسين، *مفهوم الإنسانية والعنصرية عند الجاحظ*، (بغداد: دار الحرية للطباعة، دون السنة)، ٧.
[٥٩] نفس المرجع، ١٠.
[٦٠] عمر فرّوخ، *المنهاج الجديد في الأدب العربي*، ٣٣

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الجاحظ على وجه التغليب[٦١]: **في الفلسفة والاعتزال والدين**: "كتاب الاستطاعة وخلق الأفعال" (وضعه الجاحظ لتقرير مذهب الاعتزال)، "كتاب الاعتزال وفضله" (ولعل هذا الكتاب هو المسمى أيضا "فضيلة المعتزلة") والذي رد عليه ابن الراوندي بكتابه الذي سماه "فضيحة المعتزلة" ، "كتاب خلق القرآن" ، "كتاب آي القرآن" ،"كتاب الاحتجاج لنظم القرآن" ،"كتاب وجوب الامامة" ،"كتاب الرد علي اليهود" ، "كتاب الرد علي المشبهة"، "كتاب الدلائل والاعتبار علي الخلق والتدبير " (يبحث في تعليل الأشياء الطبيعية وما في الكائنات من الدلائل علي وجود الصانع) . **في السياسة والإقتصاد**: "كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب" ، "رسالة في مناقب الترك وعامة جند الخلافة" . "رسالة في الخراج" ، "كتاب أقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات " ، "كتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب". **في الإجتماع والأخلاق** : "رسالة في إثم السكر" ، "كتاب أخلاق الشطار" ، "كتاب أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة" ، "كتاب الحول والعور". "كتاب البخلاء ". **في التاريخ والجغرافية والطبيعيات والرياضيات**: "كتاب الأخبار وكيف تصح" ، "كتاب المعادن" ، "كتاب نقض الطب"، "رسالة في القيان" ، "كتاب في طبقات المغنين". "كتاب الحيوان" ، "كتاب الكلاب" ، "الأسد والذئب". **في العصبية وتأثير البيئة**: "كتاب القحطانية والعدنانية " ، "كتاب العرب والعجم" ، "كتاب العرب والموالى". رسالة في فخر السودان علي البيضان" ، "كتاب مفاخرة السودان والحمران". **في الأدب والشعر والعلوم اللسانية والأدبية**: "كتاب البيان والتبيين" ، " كتاب المحاسن والأضداد والعجائب والغرائب"، "كتاب عناصر الآداب".

---

[٦١] حنا فاخوري،٥٥٩

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الفصل الثالث
تحليل البيانات

المبحث الأول: صورة حال مجتمع العصر العبّاسي الذهبي في كتاب البخلاء

كما نعرف أن كتاب البخلاء من أشهر كتب الأدب، وأطرافها موضوعا وأسلوبا. تناول البخل موضوعا يسخر فيه بالشعوبين، حيث كان معظم شخصيّاته من الفرس من خراسان ومرو. ضمّ مجموعة من الطرائف والنوادر تدل على مرهبة أصلية وكبيرة بفن القصة، وطبْع في فن الإضحاك، وخفة ظل عز نظيرها.

كتاب "البخلاء" كتاب جمع فيه الجاحظ قصصا عن البخل والبخلاء، وخصوصا البخل في الطعام. وأكثر هذه القصص واقعة ولكن الجاحظ ستر أسماء أصحابها أحيانا. ويقتصد الجاحظ أن يصور في الكتاب طبائع الناس، خصوصا أولئك الذين يبخلون شيء دون شيء أو يبخلون على أنفسهم خاصة، ثم يتحملون كل مشقة في أجسامهم وفي أنفسهم في سبيل الدخار المال، كما يتساهلون في سبيل ذلك بكثير من مثلهم العليا[1].

"اشتكيت أياماً صدري من سعال كان أصابني فأمرني قوم بالفانيذ السكري، وأشار على آخرون بالحريرة تتخذ من النشاشتج والسكر ودهن اللوز وأشباه ذلك. فاستثقلت المؤنة وكرهت الكلفة ورجوت العافية. فبينا أنا أدافع الأيام إذ قال لي بعض الموفقين: عليك بماء النخالة فاحسه حاراً. فحسوت فإذا هو طيب جداً وإذا هو يعصم: فما جعت ولا اشتهيت الغذاء في ذلك اليوم إلى الظهر[2]."

فضل الشيخ حمل المرض أياما من أن يتصرف قليل النقود لشراء الدواء.

---

[1] عمر فرّوخ، *المنهاج الجديد في الأدب العربي*، ٣٥.

[2] الجاحظ، *كتاب البخلاء*، (القاهرة: دار المعارف، ١١١٩)، ٣٢

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

ثم أن الجاحظ يريد أن يصف جانبا من الحياة العصر العباسي الذهبي: من حياة البخل في خضم من الترف، حياة أولئك الذين كانوا فقراء ثم أيسرو فجأة من طريق رواج تجارتهم أو صناعتهم أو ارتفاع أثمان أراضيهم.

"ثم اندفع شيخ منهم فقال: يا قوم لا تحقروا صغار الأمور فإن أول كل كبير صغير. ومتى شاء الله أن يعظم صغيراً عظمه وأن يكثر قليلاً كثره. وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم؟ وهل الدرهم إلا قيراط إلى جنب قيراط؟ أوليس كذلك رمل عالج وماء البحر؟ وهل اجتمعت أموال بيوت إلا بدرهم من ههنا ودرهم من ههنا. فقد رأيت صاحب سقط قد اعتقد مائة جريب في أرض العرب ولربما رأيته يبيع الفلفل بقيراط والحمص بقيراط فأعلم أنه لم يربح في ذلك الفلفل إلا الحبة والحبتين من خشب الفلفل، فلم يزل يجمع من الصغار الكبار، حتى اجتمع ما اشترى به مائة جريب[٣]."

بعد ذلك الانقلاب الإقتصادي الذي حدث في العراق في صدر العصر العباسي الذهبي. كما يصور في النص التالي: " *ناس من المراوزة إذا لبسوا الخفاف في الستة الأشهر التي لا يترعون فيها خفافهم، يمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر، وعلى أعقاب أرجلهم ثلاثة أشهر حتى يكون كأنهم لم يلبسوا خفافهم إلا ثلاثة أشهر، مخافة أن تنجرد نعال خفافهم أو تنقب. حكى أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام، عن جاره المروزي: أنه كان لا يلبس خفا ولا نعلا إلى أن يذهب النبق اليابس، لكثرة النوى في الطريق والأسواق* [٤]. يصور ذلك النص صورة السوق الذي كان من إحدي مصادر تحرك الإقتصادية بالعصر العباسي الذهبي والأعمال فيه والأمثال تباع فيه.

نجد من مطالعة كتاب البخلاء نقطتين الرئيسيتين لفهم الرسالة تقصد الجاحظ على وهما: **الموضوع**، : يتضمن كتاب البخلاء مقدمة طواها الجاحظ على دراسة نفسية البخلاء واحتجاجهم للبخل في تصرفاتهم، وشذوذهم في تفكيرهم، وطرائق تفهيمهم، وفطنتهم لغيوب غيرهم، وقد أتبعا بوسالة لسهل بن هارون في الدفاع عن مذهبه في البخل، ثم عرض الجاحظ لأهل خراسان وقد كثر الناس فيهم، وتحدثوا

[٣] الجاحظ، *كتاب البخلاء*، ٣١.
[٤] نفس المرجع، ٢٨

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

ببخلهم ولاسياما أهل مرو منهم، فأظهر أنهم مطبوعون على البخل، حتى *أن ديكة مرو تسلب الحبّ من مناقير الدجاج*، وحتى أن الواحد منهم "يقول للزائر إ وكثير". *وإذا أتاه، للجليس إذا طال جلوسه: تغديت اليوم؟ فإن قال: نعم! قال: لولاك أنك تغدّيت لغدّيتك بغداء طيب! وإن قال: لا! قال: لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح! فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير"*[٥]. وأهل خراسان إذا غتربوا يؤثرون الأكل منفردين. وإذا مدحهم شاعر جزوا كلامه بكلام، وأهل مرو منهم من *"إذا لبسو الخفاف في الستة الأشهر التي لا يترعون فيها خفافهم، ويمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر، وعلى أعقاب أرجاهم ثلاثة أشهر، حتى يكون كأنهم لم يلبسوا خفافهم إلا ثلاثة أشهر مخافة أن تنجرد نعال خفافهم أو تنقب"*.

وبعد هذه النوادر الخراسانية ينتقل الجاحظ إلى **أهل البصرة من المسجدين** فيجد أن البخل عندهم كالنسب يجمع على التحاب، ويرى أن البخل عندهم اقتصاد في وأنهم جماعة من الناس يحرصون على الإستفادة من كل شيء، ويحرصون شديد الحرص على أن لايضيع شيء مما يأكلون أويشربون أو يملكون، ولهم في ذلك آرىء قلما تخطر ببال إنسان.

ثم ينطلق الجاحظ من شخص إلى آخر ممن اشتهروا بالبخل والإقتصاد، ويروي أخبارهم ويسوق أقاصيصهم، ثم يورد رسالة أبي العاص الثقفي في ذمّ البخل ومدح الكرم، وجواب ابن التوأم على رسالة الثقفي. وينهى كتابه بذكر أطعمة العرب.

وأما من **ناحية القيمة**: ومما يستخلص من مطالعة كتاب البخلاء في حقل الإقتصاد والإجتماع أن للبخل نفسية خاصة استطاع الجاحظ أن يرسمها ببراعة عجيبة، وأن لكلّ شيء في الوجود منفعة لا يكتشفها إلا بعيد النظر في الأمور، وأن التساهل في الأمور الصغيرة يقود إلى التساهل في الكبيرة، وأن "للغنى سكرا وأن للمال

---

[٥] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٦

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

نزوة" فمن لم يحفظ الغنى من سكر الغنى فقد أضاعه، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله وأنه إذا أراد الله ذهاب مال رجل جعله يرجو الخلف ويتوهّم بأنه كلّما أنفق أخلف الله عليه وعوّضه مما أنفق، وأن بيوت الأموال درهم إلى درهم، والكثير من القليل كثير.

ونستمر في استخراج عناصر الاجتماع خاصا في مجتمع العباسي الذهبي من كتاب البخلاء. كما ذكر في مبحث صورة الاجتماع في العصر العباسي الذهبي أن أوصى للمأمون بالملك على شرقي الإمبراطقية (ما يقع شرق بغداد) حيث يكثر العنصر الفارسي وأنصار المأمون. ويبدو أن القسمة على هذا الشكل كانت راجعة إلى أن أم المأمون كانت فارسية.

عاش الجاحظ حين السلطة العباسية قد أسست منذ جديد في رعاية وإعانة الفارسيين خاصة والمواطن الأخرى عامة وكذلك العربيين الذين عرضوا السلطة الأموية ومشتركي بني هاشم حتى مالوا إلى العرب، وفي جهة أخرى كانوا في أيدي الشعبة الأخرى. والعرب دوره محدود لأن مملكته مكونة من عدد الشعوب[٦].

فلذلك سيكون الفارسيون رب المملكة عاجلا. ولما نقلت العاصمة إلى البغداد، فغيرت جهة بواب المملكة من بحر الأوسط إلى الفارس والفراسيون أجروا سياستهم إلى العربيين وجعلوا سسلاطين الخليفة في بغداد مثل سلاطين ملوك فارس في المدن. و أدّوا أيضا طريقات أرستقراطيين في نظام الإدارات و منهج الحرب ونظام المملكة ثمّ غيّروا نظام الفكرة و العادة للعرب بشيء جديد فيبدو من ذالك تجديدٌ. و نتشروا أيضا مذهب التخير يعني اختيار خير ما من الحضارة القديمة سوى العرب و تطريره و تطبيقه

[6] Maman Lesmana, "Humor dalam Kitab Al-Bukhala'", (Disertasi, UIN Syarif Hidayatullah, Jakarta, 2008), 150.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

كما يصور في قصة محمد بن يسير عن وال كان بفارس: "*ومثل هذا الحديث ما حدثني به "محمد بن يسير" عن وال كان بفارس، إما يكون خالدا خو مهرويه أو غيره،*[٧]".

وعادة الوزير في دعوة الشعراء عندما يشعرون بالملل والتعب بسبب كثير الوظيفة الوطنية. همّ الوزراء الفرحة والترويح من كلام الشعراء."*بينا هو يوما في مجلس، وهو مشغول بحسنابه وأمره، وقد احتجب بجهده، إذ نجم شاعر من بين يديه، فأنشده شعرا مدحه فيه، وقرّظه، ومجّده. فلمّا فرغ قال: «قد أحسنت» . ثم أقبل على كاتبه فقال: أعطه عشرة آلاف درهم*"[٨].

كان موقع العباسي جغرافيا مفيدة جدا باعتباره مركز تحميل وتفريغ السفن . ليس بعيدا عن الميناء هناك أسواق مركز التسوق التي تبيع الخزف والحرير والعطور من الصين، والتوابل، والمشروبات الغازية، والأصباغ من الهند وأرخبيل الملايو والياقوت والأحجار الكريمة، والأقمشة، من تركيا في آسيا الوسطى :العسل وزيت، وبر الحيوانات، من مختلف محافظات المملكة إرسال الحبوب، والكتان، والبنود من النحاس والفواكه من سوريا، والديباج، والمجوهرات والأسلحة من شبه الجزيرة العربية، والعطور والحرير والخضروات[٩].

من تلك الصورة نحن نعرف أن في ذلك اليوم قد كان مختلفة الأثاث المترلي والأطعمة كالحاجة الضرورية فثم نعرف صورته في كتاب البخلاء. في القسم الثاني من "طرف أهل خراسان" قد ذكر **كوز خزف** من الأثاث المترلي ذلك اليوم في النص "*إذا كان زائرا في بيته «ابن أبي كريمة» وأصله من مرو، فرآه يتوضأ من كوز خزف، فقال: «سبحان الله تتوضأ بالعذب، والبئر لك معرضة» ؟ فأجاب: «ليس بعذب، إنما*

---

[٧] الجاحظ، *كتاب البخلاء*، ٢٦.
[٨] نفس المرجع، ٢٦.
[9] Philip K. Hitti, *History of The Arabs,* pent: R. Cecep Lukman Yasin dkk., (Jakarta: PT SERAMBI ILMU SEMESTA, 2006),367

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

هو من ماء البئر» . قال: «فتفسد علينا كوزنا بالملوحة». هو لم يدر كيف يتخلص الكوز من معرضة"[10] ثم ذكر أيضا **الخزفيّة الخضر، ومسارج الحجارة، والفتيلة،الدهن، والزجاج** في أنحاء الحوار من قسم االثمن والتاسع والعاشر من "طرف أهل خراسان" وفي سائر النصوص من ثلاثة البيانات.

كما ذكر في أول هذا المبحث أن أكثر هذه القصص واقعة فبعض ممثل فيه كائن في الواقع كأبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام الذي ذكر في النص التالي: *"حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظّام قال: قلت مرة لجار كان لي، من أهل خراسان: «أعرني مقلاكم، فإني أحتاج إليه»"*[11]. كان من علماء المعتزلة وهو معلم الجاحظ في علم الكلام[12] . لغته فصيح ويأهل كتبا عن علم المبادئ أخص في حال الأخلاق والإلهية. وذكر بخاطب البغدادي في تاريخ الأدب كثيرا، وتوفي في ٢٢١ه.

المبحث الثاني: صفة البخل أهل العراق صوّرها الجاحظ في كتاب البخلاء

زعمت البيانات الثلاثة التي قد أختارها الكاتبة قد وكّلت كل المحتويات من كتاب البخلاء، لأن تلك البيانات المختارات بناء على المحتويات والموضوع. قصة أهل بصرة والمسجديين تحدثت صفة بخل أهل بصرة التي قد تعممت تلك الصفة بين المجتمع وأنهم يزعمون أن ذلك البخل طريق الإقتصاد الصحيح. وكذلك قصة أهل خراسان التي كثير منها تحكي عن صفة البخل خاصة لأهل خراسان، ومن إحدى القصة قصة من الذي كان في الواقع. ثم قصة زبيدة يحب الدنيا حبا جمّا.

والمهم للمعلوم أن كتاب البخلاء الذي قد يبحث في البحث العلمي هذا مطبوع عن مطبعة دار المعارف بقاهرة ومحققه طه الحاجري. أما المنهج لهذا البحث

---

[10] الجاحظ، *كتاب البخلاء*، ١٧

[11] نفس المرجع، ٢٣.

[12] Maman Lesmana, "Humor dalam Kitab Al-Bukhola'", (Disertasi Sekolah Pasca Sarjana, UIN Syarif Hidayatullah, Jakarta: 2008), 148.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

على وهو الأدب الإجتماعي خاصة في العمل الأدبي الذي يخرج منه تصور حالة المجتمع حوله.

قد ذكرت في الباب السابق عن مجتمعة العراق خاصا في عصر العباسي الذهبي الثاني الذي يعيش الجاحظ فيه. فتقدم الباحثة في هذا الباب عن تحليل "طرف أهل خراسان"، و"قصة أهل بصرة"، و"زبيدة بن حميدة". ويخرج منها مجال البخل التالي: **البخل في الطعام، البخل في الأموال والأثمان، البخل بنفسه، البخل لغيره.**

بدأ البحث بتحليل "طرف أهل خراسان". تحكى في هذا التقسيم صفة بخل أهل مرو عاصمة خراسان خاصة مختلفة الأغراض والدلالات تدور على البخل خصوصا في الطعام، بجانب ذالك تحكي فيه صفة البخل في غير الطعام البخل في الأموال أو الأثاث مثلا. وهناك خمسة وعشرون قصص، إثنى عشرة منها قصص من البخل في الطعم وسائرها من البخل في الأموال والأمثال.

القسم الأول:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الطعام.

تدل صفة بخل المروزي من كيفية ضيافته. إذا أجاب الزائر أو الجليس جواب «نعم» فيقول «*لولا أنك تغدّيت لغدّيتك بغداء طيب*» وإن قال: «لا». فقال: «*لو كنت تغديت، لسقيتك خمسة أقداح*».فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير."[١٣]

[١٣] الجاحظ، *البخلاء*، (القاهرة: كورنيس نيل، ١١١٩)، ١٧

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

كان المروزي رجلا بخيلا، لأنه لم يريد ليخرج الطعام لإكرام الضيف مع أن إكرام الضيف واجب على الذي يعترف نفسه بالمؤمن، على الخبر "من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فاليكرم ضيفه"[١٤]

القسم الثاني:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأمثال.

كان ابن أبي كريمة بخيلا. يتصور الجاحظ صفة بخله في هذا القسم إذا كان زائرا في بيته «ابن أبي كريمة» وأصله من مرو، فرآه يتوضأ من كوز خزف، فقال: «*سبحان الله تتوضأ بالعذب، والبئر لك معرضة*» ؟ فأجاب: «*ليس بعذب، إنما هو من ماء البئر*» . *قال:* «*فتفسد علينا كوزنا بالملوحة*». هو لم يدر كيف يتخلص الكوز من معرضة[١٥].

فهو في شدة البخيل لأنه لايسمح الجاحظ ليستخدم ماء العذبة في الكوز ولكن إذا يرى أن الجاحظ أتوضع بماء معرضة في الكوز فغضب لخوف فساد الكوز.

القسم الثالث:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الطعام.

هذه القصة من عمرو بن نهيوي عندما تغدّي يوما عند الكندي فدخل عليه رجل كان له جارا، وكان لعمرو بن نهيوي صديقا، فلم يعرض عليه الطعام وهما يأكلان (وكان أبخل من خلق الله)، فاستحي عمرو منه، فقال: «*سبحان الله! لو دنوت فأصبت معنا مما نأكل*» . قال الرجل: «*قد والله فعلت*» . فقال الكندي: «*ما بعد الله شيء*». " *قال عمرو:* «*فكتفه، والله كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا،*

---

[١٤] محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، *موعظة المؤمنين*، ٢٠

[١٥] الجاحظ، *البخلاء*، ١٧

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

وتركه، ولو مدّ يده لكان كافرا، أو لكان قد جعل مع الله، جلّ ذكره، شيئا»[16] .فذمّ عمرو الكندي لبخله.

القسم الرابع:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الطعام.

يبالغ الجاحظ فيجعل مرض البخل ينتقل إلى الحيوان بالعدوي. يذكر لنا الجاحظ أن الديكة في مرو بخيلة أيضا.وقال ثمامة: «*لم أر الديك في بلدة قطّ إلا وهو لا قط، يأخذ الحبة بمنقاره، ثم يلفظها قدام الدجاجة، إلا ديكة مرو، فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب*» . قال: «*فعلمت إن بخلهم شيء في طبع البلاد، وفي جواهر الماء، فمن ثمّ عمّ جميع حيوانهم*»[17].

القسم الخامس:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الطعام.

الحديث حدث من أحمد بن رشيد. كذب صبيّ صغير أن الماء يشربه ملح والخبزى يأكله مرّ ": «*كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبيّ له صغير يلعب بين يديه، فقلت له، إما عابثا وإما ممتحنا: «أطعمني من خبزكم» . قال: «لا تريده، هو مرّ» . فقلت: «فاسقني من مائكم» قال: «لا تريده، هو مالح» قلت: «هات لي من كذا وكذا» قال: لا تريده، هو كذا وكذا» إلى أن عددت أصنافا كثيرة، كل ذلك يمنعنيه ويبغضه إلّي. فضحك أبوه وقال: «ما ذنبنا؟ هذا من علمه ماتسمع؟ يعني أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم*[18]

---

[16] نفس المرجع، ١٧
[17] نفس المرجع، ١٨
[18] الجاحظ، *البخلاء*، ١٨.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

لأنه بخيل لايريد أن أعطى طعامه إلى غيره، عندما يسأله الرشيد والشيخ مع أنهما ليس في السؤال حاقّا. هو يستتر سوء أخلاقه بسوء الأخلاق الآخر يعني يستتر البخل بالكذب. وكما يذكر في علم الإجتماع أن الفرد ناتج من مجتمعه[١٩]. يعيش صبي صغير في المجتمع البخيل فلا عجب إذا صار بخيلا.

القسم السادس:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأمثال.

يحكى أن هناك اخراسانية ترافقوا في مترل، سيشتركون في شراء المصباح ولكن أحدهم لايريد أن يشتركهم. هذا هو دليل لبخله، أما الأعضاء الآخر لا يرضوا أن يقسموا نور المصباح إليه لأنه لايدفع فهذا دليل لبخلهم "*أنهم تناهدوا وتخارجوا، وأبى واحد منهم أن يعينهم، وأن يدخل في الغرم معهم. فكانوا إذا جاء المصباح شدّوا عينه بمنديل؛ ولا يزال ولا يزالون كذلك، إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح، فإذا أطفأوه أطلقوا عينيه*[٢٠]".

أن هذا الرجل قد فضل أن يحرم نعمة البصر مدة من الزمن على أن يدفع شيئا زهيدا من الما، بينما أصحابه قد عزّ عليهم أنيتمتع صاحبهم بشيء قد دفعوا هم ثمنه، مع أنه لو مرّ بهم رجل في تلك الحال أو زارهم زائر لتمتع بالنور الذي دفعو هم ثمن زيته (من غير أن يكون هو قد دفع شيئا) تلك القصة يدل أن هذا البخل مرض[٢١].

---

[١٩] محمد جوهري، *المدخل إلى علم الإجتماع*، (القاهرة:٢٠٠٧)، ٢٧

[٢٠] الجاحظ، *البخلاء*، ١٨

[٢١] عمر فرّوخ، *المنهاج الجديد في الأدب العربي*، ٤١

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

القسم السابع:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأطعمة.

هناك خمسون أهل خراسان يتغدّون معا بنفس المكان ولكن ما سبق رجلين منهم يأكلان معا وهم متقاربون ويتحدث بعضهم بعضا، ذالك بأنهم يخافون أن يوزّعوا أطعمهم بعضهم بعضا.

يحكي أن الجاحظ رأي حمّارة منهم، زهاء خمسين رجلا، يتغدون على مباقل بحضرة قرية الأعراب، في طريق الكوفة، وهم حجّاج. فلم ير من جميع الخمسين رجلين يأكلان معا، وهم في ذلك متقاربون، يحدّث بعضهم بعضا[٢٢]. وهذا الذي يراه من غريب ما يتفق للناس، وكان ذلك الحال غير موافقة النسق الإجتماعي[٢٣]. وحبهم في الدنيا يغلب على إصلاح صلة الرحم بينهم.

القسم الثامن:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأمثال.

حدث خاقن الذي زائر إلى بيت أحد أهل خراسان كان بخيلا وفضل أن يشعر المشقة لنفسهم على شراء الفتيلة الطويلة، حتى جاءه أهل مرو لحلّ مسألته.

"وقال خاقان بن صبيح : «دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا، وإذا هو قد أتانا بمسرجة، فيها فتيلة في غاية الدقّة، وإذا هو قد ألقى في دهن المسرجة شيئا من ملح ، وقد علّق على عمود المنارة عودا بخيط، وقد حزّ فيه حتى صار فيه مكان للرّباط. فكان المصباح، إذا كاد ينطفىء أشخص رأس الفتيلة بذلك» . قال: «فقلت له: ما بال العود مربوطا» ؟ قال: «هذا عود قد تشرّب الدهن، فإن ضاع و لم يحفظ احتجنا إلى واحد عطشان، فإذا كان هذا دأبنا ودأبه، ضاع من دهننا في الشهر بقدر كفاية ليلة» . قال: «فبينا أنا أتعجبّ في نفسي، وأسأل الله جلّ وذكره العافية والستر، إذ دخل شيخ

---

[٢٢] الجاحظ، *البخلاء*، ١٨

[٢٣] محد جوهري، *المدخل إلى علم الإجتماع*، ٤٠

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

من أهل مرو، فنظر الى العود فقال: «يا أبا فلان فررت من شيء ووقعت في شيء. أما تعلم أن الريح والشمس تأخذوان من سائر الأشياء؟ أو ليس قد كان البارحة عند إطفاء السراج أروى، وهو عند إسراجك الليلة أعطش؟ قد كنت أنا جاهلا مثلك حتى وفّقني الله إلى ما هو أرشد! اربط، عافاك الله، بدل العود إبرة أو مسلة صغيرة. وعلى أن العود والخلال والقصبة ربما تعلّقت بها الشعرة من قطن الفتيلة إذا سوّيناها بها فيشخص لها. وربما كان ذلك سببا لا نطفاء السراج. والحديد أملس، وهو مع ذلك غير نشاف» . قال خاقان: «ففي تلك الليلة عرفت فضل اهل خراسان على سائر الناس، وفضل أهل مرو على سائر أهل خراسان»[٢٤]" .

قد يكون الفكر الصالح يجلب على حب الدنيا لأن من آفات الدنيوية فكثيرة كالخوف لإنفاق المال وأودية أفكار الدنيا لا نهاية لها[٢٥]، حتى يستر الناس عن يفكر أصلح كما حدثت في القصة.

القسم التاسع والعاشروالحادي عشر:

هذه الأقسام يحكي فيها البخل في الأمثال والأطعمة

فيها قصة من مثنّي بن بشير الذي يحكي عن زيارة أبو عبد الله المروزيّ في بيت أحد الشيوخ من أهل خراسان. ذمّ أبو عبد الله الشيخ لأن المصباح يصنع من أوان الفخار وكذلك ذمّ الشيخ أبا عبد الله لأنه يستخدم المصباح من الحجرة مع أنّ بين الفخر والحجر كلاهما سواء كان في امتصاص الزيت. يجادل في كيفية استخدام المصباح إقتصاديا. يحكي أن الشيخ لايرغب في اختلاط الملح والنخالة في السراج لكي يشتعل دواما لأنه أفضل إعطاء الملح و النخالة للبشر على السراج وهذا هو البخل لنفسه هذا هو الدليل أنهما يسعان في حفظ عن إنفاق كثير المال للحاجة الضرورية وهذه المجادلة تنتهي في أبو عبد الله.

---

[٢٤] الجاحظ، *البخلاء*، ١٩-٢٠

[٢٥] محمد جمال الدين، *موعظة المؤمنين*، ٢٥١

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

" قال مثنّى بن بشير: دخل أبو عبد الله المروزي على شيخ من أهل خراسان، وإذا هو قد استصبح في مسرجة خزف، من هذه الخزفيّة الخضر. فقال له الشيخ: لا يجيء والله منك، من صالح أبدا. عاتبتك في مسارج الحجارة، فأعتبتني بالخزف. أو ما علمت أن الخزف والحجارة يحسوان الدهن حسوا؟ قال جعلت فداك! دفعتها إلى حريف لي، دهّان، فألقاها في المصفاة شهرا حتى رويت، من الدهن، ريّا لا تحتاج معه أبدا الى شيء. قال: ليس هذا أريد؛ هذا دواؤه يسير، وقد وقعت عليه. ولكن ما علمت أن موضع النار من المسرجة، في طرف الفتيلة، لا ينفكّ من إحراق النار، وتجفيفه، ونشف ما فيه؛ ومتى ابتلّ بالدّهن وتسقاه، عادت النار عليه فأكلته؟ هذا دأبهما. فلو قسمت ما يتشرّب ذلك المكان، من الدهن، بما يستمده طرف الفتيلة منه، لعلمت أن ذلك أكثر. وبعد هذا، فإن ذلك الموضع من الفتيلة والمسرجة، لا يزال سائلا جاريا؛ ويقال إنك متى وضعت مسرجة، فيها مصباح، وأخرى لا مصباح فيها، لم تلبث إلا ليلة أو ليلتين حتى ترى السفلى ملآنة دهنا.

واعتبر أيضا ذلك بالملح الذي يوضع تحت المسرجة، والنخالة التي توضع هناك لتسويتها وتصويبها، كيف تجدهما ينعصران دهنا. وهذا كله خسران وغبن، لا يتهاون به إلا أصحاب الفساد. على أن المفسدين إنما يطعمون الناس، ويسقون ناس، وهم على حال يستخلفون شيئا، وإن كان دونا. وأنت إنما تطعم النار، وتسقي النار، ومن أطعم النار جعله الله يوم القيامة طعاما للنار. قال الشيخ: فكيف أصنع جعلت فداك؟ قال: تتخذ قنديلا؛ فإن الزجاج أحفظ من غيره، والزجاج لا يعرف الرشح ولا النشف، ولا يقبل الأوساخ التي لا تزول إلا بالدلك الشديد، أو بإحراق النار؛ وأيهما ما كان، فإنه يعيد المسرجة الى العطش الأول.

والزجاج أبقى على الماء والتراب، من الذهب الإبريز؛ وهو مع ذلك مصنوع، والذهب مخلوق، فإن فضله الذهب بالصلابة، فضله الزجاج بالصفاء؛ والزجاج مجلّ، والذهب ستّار. ولأن الفتيلة إنما تكون في وسطه، فلا تحمّى جوانبه بوهج المصباح، كما تحمى بموضع النار من المسرجة. وإذا وقع شعاع النار على جوهر الزجاج، صار المصباح والقنديل مصباحا واحدا، وردّ الضياء كل واحد منهما على صاحبه.

واعتبر ذلك بالشعاع الذي يسقط على وجه المرآة، أو على وجه الماء، أو على الزجاجة؛ ثم انظر كيف يتضاعف نوره؛ وإن كان سقوطه على عين إنسان أعشاه، وربما أعماه. وقال الله جلّ ذكره: اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ، الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ، الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ، يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ، نُورٌ عَلى نُورٍ، يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ

. والزيت في الزجاجة نور على نور، وضوء على ضوء مضاعف. هذا مع فضل حسن القنديل على حسن مسارج الحجارة والخزف"[٢٦].

القسم الثاني عشر

يعرف صفة البخل في هذا القصة من كلمة هذه *"كان أبو عبد الله هذا كان من أطيب الخلق، وأملحهم بخلا، وأشدهم رياء"*[٢٧]، وفي الحديث: (حسب امرئ من الشر أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إلا من عصمه الله إن الله لاينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[٢٨] وقد يعرف عاما أن أهل خراسان ذو سوء الخلق من كلمة هذه *"أدخل على ذي اليمينين، طاهر بن الحسين، وقد كان يعرفه بخراسان بسبب الكلام، فقال له: منذ كم أنت مقيم بالعراق، يا أبا عبد الله؟ فقال: أنا بالعراق منذ عشرين سنة، وأنا أصوم الدهر منذ أربعين سنة. قال: فضحك طاهر، وقال: سألناك يا أبا عبد الله عن مسألة، فأجبتنا عن مسألتين"*[٢٩].

القسم الثالث عشر:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأطعمة.

يحكى من أعاجيب أهل مرو في البخل. كان الرجل يمنع واجب الشرع في إكرام الضيف، هو لا يرد الجميل بمثله لمن أكرمه في زمان الماضي، ويكذب كأنه لم ير ذلك العراقي من قبل و لم يعرفه، ومع ذالك وضع العراقي بعض ملابسه حتى "خرج من جلده" كما ذكرت في القصة. هذا هو الأخلاق الذميمة وليس طريقة الصحيحة

---

[٢٦] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٠
[٢٧] نفس المرجع، ٢٠.
[٢٨] محمد جمال الدين، *موعظة المؤمنين*، ٢٥١.
[٢٩] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٠ .

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

في الأخوة الإسلامية وذمه الله ورسوله. وقال صلى الله عليه وسلم ((لايدخل الجنة بخيل))، وعنه صلى الله عليه وسلم ((إن الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته)) وقال صلى الله عليه وسلم ((خصلتان لايجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق))[٣٠]. تلك الخلاصة من هذا النص:

"من أعاجيب أهل مرو ما سمعناه من مشيختنا على وجه الدهر، وذلك: إن رجلا من أهل مرو كان ولا يزال يحجّ ويتّجر، ويترل على رجل من أهل العراق، فيكرمه ويكفيه مؤونته. ثم كان كثيرا ما يقول لذلك العراقي: «ليت إني قد رأيتك بمرو، حتى أكافئك، لقديم إحسانك، وما تجدّد لي من البرّ في كل مرّة. فأما ههنا فقد أغناك الله عني». قال: فعرضت لذلك العراقي، بعد دهر طويل، حاجة في تلك الناحية؛ فكان مما هوّن عليه مكابدة السفر، ووحشة الاغتراب، مكان المروزيّ هناك. فلما قدم مضى نحوه في ثياب سفره، وفي عمامته وقلنسوته وكسائه، ليحطّ رحله عنده، كما يصنع الرجل بثقته، وموضع أنسه. فلما وجده قاعدا في أصحابه، أكبّ عليه وعانقه، فلم يره أثبته، ولا سأل عنه سؤال من رآه قط. قال العراقي في نفسه: «لعل إنكاره إيّاي لمكان القناع»: فرمى بقناعه، وابتدأ مساءلته، فكان له أنكر.

فقال: «لعله أن يكون إنما أتي من قبل العمامة» ؛ فترعها ثم إنتسب، وجدد مساءلته، فوجده أشدّ ما كان له إنكارا. قال «فلعله إنما أتي من قبل القلنسوة» ؛ وعلم المروزي أنه لم يبق شيء يتعلق به المتغافل والمتجاهل، فقال: «لو خرجت من جلدك لم أعرفك»"[٣١].

القسم الرابع عشر:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأطعمة.

يحكى من عاداة أهل خراسان هي طبخ اللحوم جماعة أو مشاركة. تلك العادة ليس وجود التوادّ والصلاح الأمة بل بأنها أقل في الثمن، هذا هو بسبب طبيعية أهل خراسان الأساسية أي البخل. يعرف ذلك الحال من كلمة التالية: "*وليس تناهدهم من*

[٣٠] نفسي المرجع، ٢٤٧
[٣١] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٢

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

طريق الرغبة في المشاركة، ولكن لأن بضعة كل واحد منهم لا تبلغ مقدار الذي يحتمل أن يطبخ وحده، ولأن المؤونة تخفّ أيضا، والحطب والخلّ والثوم والتوابل، ولأن القدر الواحدة أمكن من أن يقدر كل واحد منهم على قدر وإنما يختارون السكباج لأنها تبقى على الأيام، وأبعد من الفساد"[٣٢].

القسم الخامس عشر:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأطعمة لغير نفسه.

في هذا القسم يحكى عن قصة الفكاهة من مرء الذي كان في الواقع خارج القصة، هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام. كان من علماء المعتزلة وهو معلم الجاحظ في علم الكلام[٣٣] . لغته فصيح ويأهل كتبا عن علم المبادئ أخص في حال الأخلاق والإلهية. وذكر بخاطب البغدادي في تاريخ الأدب كثيرا، وتوفي في ٢٢١ه.

كان أبو إسحاق يريد أن يستعير مقلى جاره لأنه يحتاجه، ولكن ردّ أن يقرضه لأبي إسحاق وكذب أن مقلاه سرق، هذا هو بسسب صفة بخله مع أن أبا إسحاق علماء في ذلك الزمان. ولكن غضبه إذا عرف أن أبا إسحاق يستخدم مقلا للحم لأن زيت اللحم حسن لحفظ معدن المقلى فلذلك لم ينال الربح. قد يعرف ذلك من هذا النص:

"حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظّام قال: قلت مرة لجار كان لي، من أهل خراسان: «أعرني مقلاكم، فإني أحتاج إليه» قال: «قد كان لنا مقلى، ولكنه سرق» . فاستعرت من جار لي آخر. فلم يلبث الخراساني أن سمع نشيش اللحم في المقلى، وشمّ الطباهج، فقال لي: كالمغضب: «ما في الأرض أعجب منك، لو كنت أخبرتني أنك تريده للحم أو لشحم لوجدتني أسرع إليك به، إنما

---

[٣٢] نفس المرجع، ٢٣

[33] Maman Lesmana, *Humor dalam Kitab Al-Bukhola'*, Disertasi Sekolah Pasca Sarjana, (Jakarta:2008), 148

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

خشيتك تريده للباقلّي، وحديد المقلى يحترق إذا كان الذي يقلى فيه ليس بدسم. وكيف لا أعيرك إذا أردت الطّباهج، والمقلى، بعد الرّد من الطباهج، أحسن حالا منه، وهو في البيت؟![٣٤].

القسم السادس عشر:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأطعمة لغير نفسه.

حكي إذا كان أبو إسحاق منادى بجاره في الطعام فيطعمان تمرا وسمن سلاء وهما على خوان ليس عليه إلا ما ذكر، والخراساني معهما يأكل، فرأه يقطر السمن على الخوان حتى أكثر من ذلك؛ فقال لرجل إلى جنبه: "*ما لأبي فلان يضيع سمن القوم، ويسيء المؤاكلة، ويغرف فوق الحق؟*" قال: "*وما عرفت علّته؟*" قال: "*لا والله*" قال: "*الخوان خوانه، فهو يريد أن يدسمه، ليكون كالدّبغ له*". *ولقد طلّق إمرأته، وهي أمّ أولاده، لأنه رآها غسلت له خوانا له بماء حارّ، فقال لها: هلّا مسحته*[٣٥].

همّ أهل البيت مدح الناس بأنه الدابغ فهو هم المدح لشي لم يعمله وفضّل المدح على صلاح محبة زوجته هذا هو من آفات حب الدنيا الذي يفسد صلة القرابة.مع أن الشيخ الغزالي قد شرح أن صلى الله عليه وسلم قال ((حب الدنيا رأس من كل خطيئة)) وقال صلى الله عليه وسلم ((إن الدنيا حلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فناظير كيف تعلمون)).

القسم السابع عشر:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأطعمة لغير نفسه.

حكي من أبو نواس:"*كان معنا في السفينة ونحن نريد بغداد، رجل من أهل خراسان، وكان من عقلائهم وفقهائهم. فكان يأكل وحده. فقلت له: «لم تأكل وحدك» ؟ قال: ليس «عليّ» في هذا الوضع مسألة؛ إنما لمسأله على من أكل مع*

---

[٣٤] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٣
[٣٥] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٣

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الجماعة، لأن ذلك هو التكلّف. وأكلي وحدي هو الأصل، وأكلي مع غيري زيادة في الأصل»[٣٦] .

قد يعرف بخله من رأيه أن الأكل مع الجماعة تكلّف.

القسم الثامن عشر والتاسع عشر:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأطعمة لغير نفسه وأخذ مشقة لنفسه.

حدّث الجاحظ إبراهيم بن السندي عن الشيخ من أهل خراسان في دائرته الشاذروان، عرف بخله من عادته الغريبة يعني أكل الطعام في مكان بعيد وخلي من الناس لأن حفظ من سؤال الطعام.

"وكان مصححا بعيدا من الفساد، ومن الرشا، ومن الحكم بالهوى، وكان حفيا جدا، وكذلك كان في إمساكه، وفي بخله، وتدنيقه في نفقاته؛ وكان لا يأكل إلا ما لا بد منه، ولا يشرب إلا ما بدا منه. غير أنه إذا كان في غداة كل جمعة حمل معه منديلا فيه جردقتان، وقطع لحم سكباج مبرّد، وقطع جبن، وزيتونات، وصرة فيها ملح، وأخرى فيها أشنان وأربع بيضات ليس منها بدّ، ومعه خلال. ومضى وحده، حتى يدخل بعض بساتين الكرخ ، وينظر موضعا تحت شجرة، وسط خضرة، وعلى ماء جار. فاذا وجد ذلك جلس، وبسط بين يديه المنديل، وأكل من هذا مرة، ومن هذا مرّة"[٣٧]

وكذالك عرف بخله من قسم التالي، كان جامل لمار كأن سأعطاه الطعام بل في الحقيقة هو يقول السلام فقط هذا يذيئ شعور مار.

"قال إبراهيم: فبينا هو يوما من أيامه يأكل في بعض المواضع، إذ مر به رجل فسلّم عليه، فردّ السلام؛ ثم قال: «هلّم عافاك الله» . فلما نظر الى الرجل وقد انثنى راجعا، يريد أن يطفر الجدول أو يعبر النهر، قال له: «مكانك، فإنّ العجلة من عمل الشيطان» . فوقف الرجل، فأقبل عليه الخراساني وقال: «تريد ماذا» ؟ قال: «أريد أن أتغدّى» . قال: «و لم ذاك؟ وكيف طمعت في هذا؟ ومن أباح لك مالي» ؟ قال الرجل: «أوليس قد دعوتني» ؟ قال: «ويلك، لو ظننت أنك هكذا أحمق، ما

---

[٣٦] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٤

[٣٧] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٤ .

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

رددت عليك السلام. ايحسن فيما نحن فيه أن تكون، إذا كنت أنا الجالس وأنت المار، أن تبدأ أنت فتسلم، فأقول أنا حينئذ، مجيبا لك: «وعليكم السلام» . فإن كنت لا آكلا شيئا، سكتّ أنا، وسكتّ أنت، ومضيت أنت، وقعدت أنا على حالي. وإن كنت آكل فههنا وجه آخر، وهو إن أبدأ أنا، فأقول: «هلّم» ، وتجيب أنت فتقول: «هنيئا» . فيكون كلام بكلام، فأما كلام بفعال، وقول بأكل، فهذا ليس من الإنصاف، وهذا يخرج علينا فضلا كبيرا. قال: فورد على الرجل شيء لم يكن في حسابه. فشهر بذلك في تلك الناحية، وقيل له: «قد أعفينا من السلام، ومن تكلف الرد» . قال: «ما بي الى ذلك حاجة، إنما هو أن أعفي أنا نفسي من «هلّم» وقد استقام الأمر»[٣٨].

القسم العشرون:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأمال لغير نفسه.

حدّث من محمد بن يسير عن وال كان بفارس. في أول القصة كأنه جودا لأن أعطى الشاعر دراهيم كثيرا لفرحته.

"بينا هو يوما في مجلس، وهو مشغول بحسنابه وأمره، وقد احتجب بجهده، إذ نجم شاعر من بين يديه، فأنشده شعرا مدحه فيه، وقرّظه، ومجّده. فلمّا فرغ قال: «قد أحسنت» . ثم أقبل على كاتبه فقال: أعطه عشرة آلاف درهم» . ففرح الشاعر فرحا شديدا؛ فلما رأى حاله قال: «وإني لأرى هذا القول قد وقع منك هذا الموقع؟ اجعلها ألف درهم» . فكاد الشاعر يخرج من جلده، فلما رأى فرحه قد تضاعف، قال: «وإن فرحك ليتضاعف على قدر تضاعف القول؟ أعطه يا فلان أربعين ألفا» . فكاد الفرح يقتله. فلما رجعت إليه نفسه قال له: «أنت، جعلت فداك، رجل كريم؛ وأنا أعلم أنك كلما رأيتني قد ازددت فرحا، زدتني في الجائزة، وقبول هذا منك لا يكون إلا من قلة الشكر» . ثم دعا له وخرج[٣٩]." ولكن غضب عندما أقبله الكاتب بأنه خرج أربعين درهما للشاعر. "*قال: فأقبل عليه كاتبه فقال: «سبحان الله! هذا كان يرضى*

[٣٨] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٥
[٣٩] نفس المرجع، ٢٦

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

منك بأربعين درهما تأمر له بأربعين ألف درهم» ؟ قال: «ويلك! وتريد أن تعطيه شيئا» ؟[٤٠]

كان وال أي خالد خو مهرويه رجلا غنيا لكن يمنع عن إعطاء الصدقة لغيره فيسمى بخيلا.

"قال: «و لم امرت له بذلك» ؟ قال: «يا أحمق، إنما هذا رجل سرّنا بكلام، وسررناه بكلام. هو حين زعم أني أحسن من القمر، وأشدّ من الأسد، وأن لساني أقطع من السيف، وأن أمري أنفذ من السّنان هل جعل في يدي من هذا شيئا أرجع به الى بيتي؟ ألسنا نعلم أنه قد كذب؟ ولكنه قد سرّنا حين كذب لنا، فنحن أيضا نسرّه بالقول ونأمر له بالجوائز، وإن كان كذبا، فيكون كذب بكذب وقول بقول. فأما أن يكون كذب بصدق وقول بفعل، فهذا هو الخسران المبين الذي سمعت به»[٤١] .

هو فقط يريد أن يجزأ الشاغر بكلام مريح لأن قد اتاه كلاما مريحا، ذلك أقسط عند رأيه، فإلّا "يكون الخسران المبين". كانت تلك الحجة فقط حيلة لتصحيح رأيه أمام الكاتب.

وهو بخيل بسبب حب المال الذي له سببان أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا با المال مع طول الامل والثاني أن يحب عين المال ويتلذ بوجوده وإن علم أنه زائد عن حاجته بقي عمره.

القسم الحادي والعشرون:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأطعمة لغير نفسه.

هناك المقالة أو المثل الذي خاصة وقد عمّ لأهل خراسان لأن قد إتسعت مشهورة بخلهم. وها هو المثل: «*ينظر إلّي شزرا كأنّي أكلت إثنين، وأطعمته واحدا،*

---

[٤٠] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٦
[٤١] نفس المرجع، ٢٧

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

وقال المروزيّ لولا إنني أبني مدينة لبينت آريّا لدابتي »[٤٢]. عرفت حسنة أو سيئة المدينة بخليفتها وبسلوك مجتمعها.

القسم الثاني و العشرون:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأموال وأخذ المشقة لنفسه.

جعلت هذه القصة في الموضوع الديني. حكي عن محمد بن يسير لأحمد بن هشام عن أهل خراسان . "وهو يبني داره ببغداد: «إذا أراد الله ذهاب مال رجل سلّط عليه الطين والماء» . قال: «وما يصنع بذكر الطين والماء؟ إنما إذا أراد الله ذهاب مال رجل جعله يرجو الخلف، لا والله أن أهلك الناس، ولا أقفر بيوتهم، ولا ترك دورهم بلاقع ، إلا الإيمان بالخلف، وما رأيت جنة قط أوقى من اليأس» الزكاة والخلف:

قال: وسمع رجل، من المراوزة، الحسن وهو يحث الناس على المعروف، ويأمر بالصدقة، ويقول: «ما نقص مال قطّ من زكاة» ، ويعدهم سرعة الخلف. فتصدّق المروزيّ بماله كله فافتقر، فانتظر سنة وسنة، فلما لم ير شيئا بكر على الحسن، فقال: «حسن ما صنعت بي؟ ضمنت لي الخلف، فأنفقت على عدتك، وأنا اليوم مذ كذا وكذا سنة أنتظر ما وعدت، لا أرى منه قليلا ولا كثيرا. هذا يحلّ لك؟ اللص كان يصنع بي أكثر من هذا» ؟ والخلف يكون معجّلا ومؤجلا. ومن تصدّق وتشرّط الشروط استحقّ الحرمان. ولو كان هذا على ما توهّمه المروزي لكانت المحنة فيه ساقطة، ولترك الناس التجارة، ولما بقي فقير، ولذهبت العبادة[٤٣]."

كان رجل بخيلا لأنه يتصدق جميع أمواله ليس خالصا لله لكن لنيل الخلف سرعة كما شرح بل لم ينال شيء قط مذ ينتظر كذا كذا سنة. هذا السلوك ليس بالصحيح عند دين الإسلام وكذلك عند النسق الإجتماعي.

---

[٤٢] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٧
[٤٣] نفس المرجع، ٢٨

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

القسم الثالث والعشرون:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأموال وأخذ المشقة لنفسه.

يحكى أن ثمامة إحترق كل داره لنيل سريع الخلف من الله ونيل الربح لأن في الحقيقة إحترقت داره ليس كله بل إحترقه بنفسه لكي جميع أدوات الدار خلفت بالجديد هذا يدل على بخله. " *وقيل: أصبح ثمامة شديد الغمّ حين احترقت داره. وكان كلما دخل عليه إنسان قال: الحريق سريع الخلف. فلما كثر ذلك القول منهم، قال: «فاستحرق الله. اللهم إني أستحرقك فأحرق كل شيء لنا»*[٤٤].

القسم الرابع والعشرون:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأموال وأخذ المشقة لنفسه.

حدّث الحديث من أبو سعيد سجّادة عن كيفية لبس الخفاف " *ناس من المراوزة إذا لبسوا الخفاف في الستة الأشهر التي لا يترعون فيها خفافهم، يمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر، وعلى أعقاب أرجلهم ثلاثة أشهر حتى يكون كأنهم لم يلبسوا خفافهم إلا ثلاثة أشهر، مخافة أن تنجرد نعال خفافهم أو تنقب. حكى أبو* إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام، عن جاره المروزي: أنه كان لا يلبس خفا ولا نعلا إلى أن يذهب النبق «١» اليابس، لكثرة النوى في الطريق والأسواق.[٤٥]

قد ظنّوا أن هذه طريقة اللبس إقتصاد ولكن إذا نرى من ناحية الأخرى هذه من سلوك البخيل لأن يمتنع عن إصراف المال للحاجة الأساسية بل أخذوا المشقة لنفسهم.

---

[٤٤] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٨

[٤٥] نفس المرجع، ٢٨

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

القسم الخامس والعشرون:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأطعمة.

هناك الرجل الذي يريد أن ينال الربح من بقية طعام الآخر "*قال: ورآني مرة. مصصت قصب سكر، فجمعت ما مصصت ماءه، لأرمي به، فقال: «إن كنت لا تنوّر لك، ولا عيال عليك، فهبه لمن له تنّور وعليه عيال. وإياك أن تعوّد نفسك هذه العادة في أيام خفّة ظهرك «٢» ، فانك لا تدري متى تأتيك العيال»*"[٤٦].

هذا الرجل بخل بسؤاله قصب سكر لنيل الربح باستفادته بغير النقود.

ننتقل من البحث الأول أو من طرف أهل خراسان إلى البحث الثاني يعني "قصة أهل بصرة من المسجديين" فيجد أن البخل عندهم كالنسب يجمع على التحاب، ويرى أن البخل عندهم إقتصاد فني وأنهم جماعة من الناس يحرصون على الإستفادة من كل شيء ويحرصون شديد الحرص على أن لايضيع مما يأكلون أو يشربون أو يملكون. يحكي ست أقسام قصص.

القسم الأول:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأطعمة.

قصة شخص لديه كبار السن .بسبب طبيعة بخله، قدم الشراب حمار من المياه المستخدمة ليستحم مع زوجته الذي جمعها في خزانات المياه.

"فقال شيخ منهم: ماء بئرنا – كما قد علمتم – ملح أجاج لا يقربه الحمار ولا تسيغه الإبل وتموت عليه النخل، والنهر منا بعيد، وفي تكلف العذب علينا مؤنة. فكنا نمزج منه للحمار فاعتلّ منه وانتفض علينا من أجله، فصرنا بعد ذلك نسقيه العذب صرفاً. وكنت أنا والنعجة كثيراً ما نغتسل بالعذب مخافة أن يعتري جلودنا منه مثل ما اعترى جوف الحمار. فكان ذلك الماء العذب الصافي

---

[٤٦] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٨ .

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

يذهب باطلاً. ثم انفتح لي باب من الإصلاح فعمدت إلى ذلك المتوضأ، فجعلت في ناحية منه حفرة، وصهرجتها وملستها حتى صارت كأنها صخرة منقورة. وصوبت إليها المسيل فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافياً لم يخالطه شيء. ولولا التعبد لكان جلد المتغوط أحق بالنتن من جلد الجنب، فمقادير طيب الجلود واحدة، والماء على حاله. والحمار أيضاً لا تقزز له منه. له من ماء الجنابة، وليس علينا حرج في سقيه منه. وما علمنا أن كتاباً حرمه ولا سنة نهت عنه. فربحنا هذه منذ أيام وأسقطنا مؤنة عن النفس والمال. قال القوم: هذا بتوفيق الله ومنه[٤٧]."

مع أن لزم عليه سقاية الحيوان وإعطاء جميع حقوقه صحيحا.

القسم الثاني:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأطعمة والأمال لنفسه.

عندما يعرف أن الفانيد السكري ليس فقط قادرا على علاج السعال ولكن يمكن أيضا علاج الجائع، حتى انه طلب من زوجته أن يغلي ماء النخالة كل صباح، لمقاومة الجوع ولا يحتاج العشاء .بعد ذلك، النخالة التي تم المغلي يمكن أن تجفف مرة أخرى للبيع، بحيث يمكن تحقيق الربح.

"اشتكيت أياماً صدري من سعال كان أصابني فأمرني قوم بالفانيذ السكري، وأشار على آخرون بالحريرة تتخذ من النشاشتج والسكر ودهن اللوز وأشباه ذلك. فاستثقلت المؤنة وكرهت الكلفة ورجوت العافية. فبينا أنا أدافع الأيام إذ قال لي بعض الموفقين: عليك بماء النخالة فاحسه حاراً. فحسوت فإذا هو طيب جداً وإذا هو يعصم: فما جعت ولا اشتهيت الغذاء في ذلك اليوم إلى الظهر. ثم ما فرغت من غدائي وغسل يدي حتى قاربت العصر. فلما قرب وقت غدائي من وقت عشائي، طويت العشاء وعرفت قصدي.

فقلت للعجوز: لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة؟ فإن ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمة، ثم تجففين بعد النخالة فتعود كما كانت، فتبيعين إذا اجتمع بمثل الثمن الأول، ونكون قد

[٤٧] الجاحظ، *البخلاء*، ٢٩ .

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

ربحنا فضل ما بين الحالين. قالت: أرجو أن يكون الله قد جمع بهذا السعال مصالح كثيرة، لما فتح الله لك بهذه النخالة التي فيها صلاح بدنك معاشك.

وما أشك أن تلك المشهورة كانت من التوفيق. قال القوم: صدقت مثل هذا لا يكتسب بالرأي ولا يكون إلا سماويا[٤٨]."

فقد بخل على نفسه بالدواء واحتمل آلام المرض أياما في سبيل توفير دريهمات قليلة. مع أن نفقة النفس لازم لأنكان صحت جسده فيقوي لقضاء العبادة. وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو العبادة.

القسم الثالث:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأموال لنفسه.

أحد كبار السن الذي اشتكى من صعوبة أشعل النار؛ حيث استخدام الخشب وقصاصات من القماش، أو الصوان سيكلف مكلفة للغاية، لذلك فهو يحاكي البدو الذين أشعلوا النار مع عناقيد العنب لأنه يمكن الحصول عليها في أي مكان مجّانا.

"ثم أقبل عليهم شيخ اخر فقال: كنا نلقي من الحراق والقداحة جهداً لأن الحجارة كانت – إذا انكسرت حروفها واستدارت – كلت ولم تقدح قدح خير وأصلدت فلم تور. وربما أعجلنا المطر والوكف. وقد كان الحجر أيضاً يأخذ من حروف القداحة حتى يدعها كالقوس، فكنت أشتري المرقشيتا بالغلاء والقداحة الغليظة بالثمن الموجع. وكان علينا أيضاً في صنعة الحراق وفي معالجة العطبة مؤنة، وله ريح كريهة. والحراق لا يجيء من الحرق المصبوغة، ولا من الحرق الوسخة، ولا من الكتان، ولا من الخلقان. فكنا نشتريه بأغلى الثمن. فتذاكرنا منذ أيام أهل البدو والأعراب، وقدحهم النار بالمرخ والعفار، فزعم لنا صديقنا الثوري وهو – ما علمت – أحد المرشدين: أن عراجين الأعذاق تنوب عن ذلك أجمع. وعلمني كيف تعالج. ونحن نؤتى بها من أرضنا بلا كلفة.

---

[٤٨] الجاحظ، *البخلاء*، ٣٢.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

فالخادم اليوم لا تقدح ولا توري إلا بالعرجون. قال القوم: قد مرت بنا اليوم فوائد كثيرة. ولهذا ما قال الأول: مذاكرة الرجال تلقح الألباب[٤٩]."

القسم الرابع:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأموال لنفسه.

هذا الرجل لا تتخلى عن أدنى الضأن الضائع. أنه مفكر، والتفكير في فكرة استخدام دماء الماعز أيضا، لأنه لا يريد أن يضيع دم بحجة انه سوف تدمر كل فوائد آنج الماعز لمجرد شيء واحد لا يمكن استخدامها.

"ثم اندفع شيخ منهم فقال: لم أرى في وضع الأمور في مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها، كمعاذة العنبرية. قالوا: وما شان معاذة هذه؟ قال: أهدى إليها العام ابن عم لها أضحية. فرأيتها كئيبة حزينة مفكرة مطرقة، فقلت لها: مالك يا معاذة قالت: أنا امرأة أرملة وليس لي قيم، ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي. وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه. وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة، ولست أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها. وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا غيرها شيئاً لا منفعة فيه. ولكن المرء يعجز لا محالة. ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجر تضييع الكثير.

أما القرن فالوجه فيه معروف وهو أن يجعل منه كالخطاف، ويسمر في جذع من أجذاع السقف، فيعلق عليه الزبل والكيران، وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير وبنات وردان والحيات وغير ذلك. وأما المصران فإنه لأوتار المندفة. وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة. وأما قحف الرأس واللحيان وسائر العظام فسبيله أن يكسر بعد أن يعرق ثم يطبخ، فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة ولغير ذلك، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها، فلم يرى الناس وقوداً قط أصفى ولا أحسن لهباً منه. وإذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر، لقلة ما يخالطها من الدخان. وأما الإهاب فالجلد نفسه جراب. وللصوف وجوه لا تعد. وأما الفرث والبعر فحطب إذا جفف عجيب.

---

[٤٩] الجاحظ، *البخلاء*، ٣٢

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

ثم قالت: بقي الآن علينا الانتفاع بالدم. وقد علمت أن الله – عز وجل – لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها، وإن أنا لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به، صار كية في قلبي وقذي في عيني، وهما لا يزال يعودني.

قال : فلم ألبث أن رأيتها قد تطلقت وتبسمت. فقلت: ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم. قالت: أجل ذكرت أن عندي قدوراً شامية جدداً. وقد زعموا أنه ليس شيء أدبغ ولا أزيد في قوتها من التلطيخ بالدم الحار الدسم. وقد استرحت الآن، إذ وقع كل شيء موقعه!

قال: ثم لقيتها بعد ستة أشهر فقلت لها: كيف كان قديد تلك؟ قالت: بأبي أنت! لم يجيء وقت القديد بعد! لنا في الشحم والألية والجنوب والعظم المعرق وغير ذلك معاش. ولكل شيء إبان. فقبض صاحب الحمار والماء العذب قبضة من حصى، ثم ضرب بها الأرض، ثم قال: لاتعلم أنك من المسرفين، حتى تسمع بأخبار الصالحين[٥٠].

ثم البحث الأخير من هذا الفصل على وهو "قصة زبيدة بن حميد" وفيها خمسة أقسام.

القسم الأول:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأموال لغيره.

يروي هذا القسم حول زبيدة بن حميد بخيل لا تفي بالتزاماتها لدفع الديون بالكامل بدلا بل جادل بأن دفع الفرق بسبب تغير الفصول.

"وأما زبيدة بن حميد الصيرفي فإنه استلف من بقال كان على باب داره درهمين وقيراطاً، فلما قضاه بعد ستة أشهر قضاه درهمين وثلاث حبات شعير. فاغتاظ البقال فقال: سبحان الله! أنت رب مائة ألف دينار وأنا بقال لا أملك مائة فلس وإنما أعيش بكدي وباستفضال الحبة والحبتين. صاح على بابك حمال والمال لم يحضرك وغاب وكيلك فنقدت عنك درهمين وأربع شعيرات. فقضيتني بعد ستة

---

[٥٠] الجاحظ، *البخلاء*، ٣٤

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

أشهر درهمين وثلاث شعيرات. فقال زبيدة: يا مجنون! أسلفتني في الصيف فقضيتك في الشتاء. وثلاث شعيرات شتوية ندية أرزن من أربع شعيرات يابسة صيفية.[٥١]"

دفع زبيدة الديون بقدر درهمين وأربعة حبات إلى بقّال بدرهمين وثلاث حبات شعير، لأنه وفّق لثلاثة الحبوب كان أكثر قيمة في شتاء. هذا هو ليس من عقائد المعاملة الشرعية.

القسم الثاني:

هذا هو القسم يحكي فيه البخل في الأموال لغيره.

هذا القسم يحكي قصة موقفا متشددا من زبيدة إلى العبيد لمجرد أنهم يأكلون الحلويات. "*وما أشك أن معك فضلاً! وحدثني أبو الأصبغ بن ربعي قال: دخلت عليه بعد أن ضرب غلمانه بيوم فقلت له: ما هذا الضرب المبرح وهذا الخلق السيء هؤلاء غلمان ولهم حرمة وكفاية وتربية. وإنما هم ولد. هؤلاء كانوا إلى غير هذا أحوج. قال: إنك لست تدري أنهم أكلوا كل جوارشن كان عندي!*[٥٢]"

ينظر بكل وضوح طبيعة بخيل زبيدة من قسوة للعبد لأن لم يريد لتقاسم قليلا من الطعام.

---

[٥١] الجاحظ، *البخلاء*، ٣٥

[٥٢] نفس المرجع، ٣٥.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

القسم الثالث:

في هذا القسم يريد الجاحظ أن يظهر كيف موقف بخيل في إدارة أغراض المترلية الرعاية كزبيدة من نفسه، وقال أنه يميل غريب والتعسفي خلافا لمعظم الناس الذين ينبغي أن أفضل الخبز على الماء أو مكان الخبز على الزهر، لكنه يصرف خلاف ذلك.

"قال أبو الأصبغ: فخرجت إلى رئيس غلمانه فقلت: ويلك! مالك وللجوارشن وما رغبتك فيه قال: جعلت فداك! ما أقدر أن أكلمك من الجوع إلا وأنا متكئ! الجوارشن! ما أصنع به هو نفسه ليس يشبع ولا نحتاج إلى الجوارشن ونحن الذين إنما نسمع بالشبع سماعاً من أفواه الناس! ما نصنع بالجوارشن واشتد على غلمانه في تصفية الماء وفي تبريده وتزميله لأصحابه وزواره.

فقال له غازي أبو مجاهد: جعلت فداك! مر بتزميل الخبز وتكثيره فإن الطعام قبل الشراب.

وقال مرة: يا غلام هات خوان النرد وهو يريد تحت النرد فقال له غازي: نحن إلى خوان الخبز أحوج[٥٣]."

القسم الرابع:

عرفت طبعية زبيدة البخيل عندما أدرك ذلك وبعد ذلك تريد استعادة السيطرة على رداء التي أعطيت، ولكن تم تحويلها للرداء في الملابس النسائية من قبل المستلم)هذه هي المستفيدة من شكل من الترقب زبيدة الرغبة في اتخاذ إلى الوراء، هذا حيث يتم تضمين الموقف أيضا في فئة المختطف الطبيعة .(على الرغم من ذلك لا يزال زبيدة العزم على اتخاذ ذلك بحجة رداء على ارتداء زوجته .هذا النوع من الاشياء ليست عادلة لأن البضاعة التي تم منحها يجب أن لا تكون هناك حاجة احتياطية إذا كان قد تغير الشكل.

[٥٣] الجاحظ، *البخلاء*، ٣٥

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

"وسكر زبيدة ليلة فكسا صديقاً له قميصاً. فلما صار القميص على النديم خاف البدوات وعلم أن ذلك من هفوات السكر. فمضى من ساعته إلى منزله فجعله بركاناً لامرأته.

فلما أصبح سأل عن القميص وتفقده فقيل له: إنك قد كسوته فلاناً. فبعث إليه ثم أقبل عليه فقال: ما علمت أن هبة السكران وشراءه وبيعه وصدقته وطلاقه لا يجوز وبعد فإني أكره ألا يكون لي حمد وأن يوجه الناس هذا مني السكر. فرده علي حتى أهبه لك صاحياً عن طيب نفس فإني أكره أن يذهب شيء من مالي باطلاً. فلما رآه قد صمم أقبل عليه فقال: يا هناه! إن الناس يمزحون ويلعبون ولا يؤاخذون بشيء من ذلك. فرد القميص عافاك الله! قال له الرجل: إني والله قد خفت هذا بعينه فلم أضع جنبي إلى الأرض حتى جيبته لامرأتي. وقد زدت في الكمين وحذفت المقاديم. فإن أردت بعد هذا كله أن تأخذه فخذه. فقال: نعم آخذه لأنه يصلح لامرأتي كما يصلح لامرأتك. قال: فإنه عند الصباغ. قال: فهاته. قال: ليس أنا أسلمته إليه.

فلما علم أنه قد وقع قال: بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: جمع السر كله في بيت عليه فكان مفتاحه السكر."[٥٤]

كان الجاحظ يلفت النظر في البخلاء هؤلاء أنهم لم يكونو في العصر العباسي الذهبي أفرادا متفرقين في البيئة الإجتماعية بل كانوا قد أصبحوا طبقات يألف بعض أفراد كل طبقة بعضهم الآخر[٥٥].

وهذا البخل في أولئك الناس الذين يصورهم الجاحظ كان خلقا أو عادة لمجتمع العراق. إن البخلاء الذين يصور هم الجاحظ لايقيمون وزنا إلاّ للمال المجموع، وطريقتهم أن يحاول أحدهم أن يمتنع عن إنفاق شيء من المال مهما قليلا. أن جميع الآحوال التي ذكرها الجاحظ هي أحوال الناس يعزّ عليهم أن ينفقوا من مال أو يأكلو (فضلا عن أن يطعموا) من طعام أو يتبذلوا من ثياب –مهما قل ما عندهم من ذالك أو كثر ومهما رخص أو غلا– مع أن الجاحظ يصور لنا حال الأغنياء الذين يبخلون، إذ الفقير العاجز عن الإنفاق لايسمى باخلا أو لايلام على البخل. ثُم أن جميع البخلاء

---

[٥٤] الجاحظ، *البخلاء* ٣٦

[٥٥] عمر فرّوخ، *المنهاج الجديد في الأدب العربي*، ٤٠

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

(في كتاب الجاحظ) نماذج من أولئك الذين يريدون أن يبقو على المال عندهم من طريق الشيخ، وقل فيهم من يريد أن يزيد ثروته من طريق التنمية بالطرق الإقتصاد المألوفة.

فهكذا كان الحديث عن البخل والبخلاء شائعا في ذلك العهد، فأراد الجاحظ، بدعوة من طبيعته الفنية، أن يبخل قلمة في الموضوع.

ولكي يبلغ الجاحظ هدفه عمل على اتباع طريقتين: **طريق المطالعة** لكل ما كتب في البخل، وطريق الحري لكل ما يعمل البخلاء في عصره. وقد صاغ النتيجة في قالب من القصص المفكه، ومزج الجد بالهزل تمشّيا على خطته المعهودة. وهكذا راح الجاحظ يتبع ما كتب هذا الباب، ويتقصّى الأخبار، ويقتنص بوادر أهل العلم والأدب في مايتعلق بموضوعه، ويجمع الملح والنوادر، ويقلب النظر في ما تركه الحزامي والكندي وسهل بن هارون وغيرهم في تحليل نفسية البخلاء، وفي الإحتجاج للبخل وما إلى ذلك، وهكذا كان كتاب "البخلاء" **خلاصة خبرة صاحبة، ومجموعة معلوماته، وصورة لناحية البخل والإقتصاد في مجتمعه**، وقد انتهج فيه، كما قلنا، سبيل القصص والفكاهة والتهكم، ناقدا الإسراف في حب الدرهم، مطرئا حكمة البخلاء في أساليب اقتصادهم، مقدما دروسا حية، وعظات فكاهية، مظهرا ثقافة واسعة في التطلع إلى آفاق مختلفة، وقد قال: "ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء تبين حجة طريفة أوتعرف **حملة لطيفة**، أو استافادة **نادرة عجيبة**[٥٦].

وأسلوب الجاحظ في كتاب البخلاء هو الأسلوب الجاري على السليقة لأن طبيعة القصص عامة تصل بنفسها إلى القارئ من غير تزيين أو تنميق. وخصوصا إذا كانت تلك القصص متنوعة غريبة مختارة كتلك التي نجدها في كتاب البخلاء. إن الألفاظ في هذه القصص فصيحة. والتراكيب صحيحة مألوفة. و لم يلجأ الجاخظ في

---

[٥٦] حنّا الفاخوري، *الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم*، ٧٨.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

هذه القصص إلى التانق وتكلّف الصناعة وتطلب أوجه البلاغة. بل ترك فحوى القصة نفسه يحدث أثره المطلوب أو المقصود في القارئ[٥٧].

وكذالك لم يجد الجاحظ هنا حاجة إلى الهزل والإستطراد. لأن قصص البخل نفسها طريقة تنطوي على كثير من الهزل. وما دام الكتاب كله كتاب قصص. فلم يكن ثمت حاجة إلى الإستطراد. لأن الإستطراد وسيلة إلى الترويح عن القارئ في الموضوعات الحافة –موضوعات البحث العلمي أو البحث على الطريقة العلمية. أما في القصص التي هي العماد الأول في الترويح عن النفوس فلا يمكن أن يزيد الإستطراد فيها شيئا[٥٨].

ثم أن الجاحظ هنا لايكتفي بأن يصور أحوال البخل والبخلاء، ولكنه يحاول أن يحصر هذه الأحوال. فلقد حرص على أن يرينا في قصصه جميع الأحوال التي يبتدي فيها البخل. ثم إنه أراد أيضا أن يستخرج طبائع البخلاء ويجعل منها نماذج ثابتة: البخيل بالطعام، البخيل على نفسه، البخيل على أهل بيته، البخيل على الغرباء، المتفلسف في تبرير البخل، وما إلى ذلك. ويستخرج الجاحظ طبيعه البخل حينما يأتينا بنماذج من البخلاء الذين يجمعون المتناقضات في أنفسهم. ويبدو ان كل قصة من قصص البخلاء عند الجاحظ صورة لطبيعة من طبائع البشر. فقصة السراج والفتيلة يمكن أن تصبح– مع التوسيع – مشهدا تمثيليا، وأما قصص المسجدين فيمكن أن يخرج منها رواية تمثيلية.

---

[٥٧] عمر فرّوخ، *المنهاج الجديد في الأدب العربي*، ٤٢.

[٥٨] نفس المرجع، ٤٣.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الفصل الرابع
الخلاصة والمقترحات

أ. نتائج البحث

و الخلاصة مما سبق تحليله في الفصل الثالث التي تجيب أسئلة البحث هي :

١) كيف صور اجتماع العصر العباسي الذهبي في كتاب البخلاء؟

هناك بعض عناصير المجتمع الذي ذكرت وصوّرت في كتاب البخلاء على وهي: **ممثل المجتمع** يعني أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام معلّم الجاحظ في "طرف أهل خراسان" ، والجاحظ بنفسه في كثير من أقسام القصص، وخالد كوال عن الفارسي في "طرف أهل خراسان" وسائر أصحاب الجاحظ الذي ستر أسمائه. وإما من ناحية **الإقتصادية** يحتمل فيه التجارة وسائر المعاملة كالشركة وصور بعض الأثاث المترلي الذي يستعمل عامة بمجتمع العباسي الذهبي. وإما من ناحية **الثقافة**، يصور الجاحظ عادة تكرام الضيوف، ودعوات إلى الطعام، وبجانب ذلك صور الجاحظ أن كان عادة شرب الخمر معرض وعامة في ذلك العصر، هذا من صور فساد الأخلاق.

٢) كيف صفة بخل أهل العراق صوّرها الجاحظ في كتاب البخلاء؟

كتاب "البخلاء" كتاب جمع فيه الجاحظ قصصا عن البخل والبخلاء، وخصوصا البخل في الطعام، وفي الأثاث والأموال لنفسه أو لغيره.

وهذا البخل في أولئك الناس الذين يصورهم الجاحظ كان خلقا أو عادة لمجتمع العراق. إن البخلاء الذين يصور هم الجاحظ لايقيمون وزنا إلاّ للمال المجموع، وطريقتهم أن يحاول أحدهم أن يمتنع عن إنفاق شيء من المال مهما قليلا. أن جميع الآحوال التي ذكرها الجاحظ هي أحوال الناس يعزّ عليهم أن ينفقوا من مال أو يأكلو (فضلا عن أن يطعموا) من طعام أو يتبذلوا من ثياب –مهما قل ما عندهم من ذالك

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

أو كثر ومهما رخص أو غلا- مع أن الجاحظ يصور لنا حال الأغنياء الذين يبخلون.

ب. مقترحات البحث

بعد أن حلل الباحث على هذا البحث فلابد عليه أن يقدم الإقتراحات رجاء أن تكون نافعة لمن اهتم على هذا العلم، وهي:

١. ينبغي لطلاب شعبة اللغه العربية وأدبها ولمن يريد أن يدرسوا نظرية الأدب الاجتماعي وتطبيقه في البحث العلمي ويستطيعوا أن يأخذوا الوصية منه لأنه يفتح العقول واللأذكار فيما بين تاريخ الأدب العربي و الملاوي.

٢. كما قد بحثت الباحثة يستخدم نظرية أو فكرة لرنيه وليك وأوستين وارن وألان سويعوود في هذا البحث, ولذا قد اقترح لمن يريد أن يبحث بحث العلم لاستخدام نظريتهم لأنهم أهل في مجال الأدب الاجتماعية.

٣. اقترحت الباحثة لجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية بمالانج أن تزيد المراجع الأدبية الحديثة والمراجع الأخري، خصوصا فيما يتعلق بنظرية الأدب الاجتماعي عن أدباء العرب.

أخيرا, إذا وجد الخطاء أو النقصان فترجو الباحثة التكميل في البحث الأخري وعسى الله أن ينفع هذا البحث للباحثة نفسها وللقراء و الإسلام والمسلمين عامة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم, والحمد الله رب العالمين.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

ثبت المراجع

ثبت المرجع العربي

أحمد الأسكندري و مصطفى عناني، *الوسيط في الأدب العربي وتاريخه*. مصر: دار المعارف.١٩١٦.

أميل يعقوب، *الأدب العربي: فوّاز الشعار*. بيروت: دار الجيل. ١٩٩٩.

داوود سلوم، *سوسيولوجيا النقد العربي القديم*. القاهرة: مؤسسة المختار. ٢٠٠٢.

شفيق جبري، *الجاحظ معلم العقل والأدب*. القاهرة: دون المطبع. ١٩٤٨.

شوقي ضيف، *العصر العباسي الذهبي الثاني*. القاهرة: كورنيش نيل. ١١١٩.

ماكس فيبر، *مفاهيم أساسية في علم الاجتماع*، مترجم. صلاح الدين، محمد جوهري. القاهرة: مركز القومي للترجمة. ٢٠١١.

محمد عبد المعبود موسى، *علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي*. مكة: دون الطبع. ٢٠٠١.

محمد جوهري، *المدخل إلى علم الإجتماع*. القاهرة: ٢٠٠٧.

محمد توفيق حسين، *مفهوم الإنسانية والعنصرية عند الجاحظ*. بغداد: دار الحرية للطباعة. دون السنة.

ساعتي، أمين. *تبسيط كتابة البحث العلمي*. الجدة: المركز السعودية للدراسات الإستيراتيجية. ١٩٩١.

وليك، رنيه وأوستين وارن. *نظرية الأدب*. مترجم. عادل سلامة. الرياض: دار المريخ. ١٩٩٢.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

الفاخوري، حنّا. *الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم*. بيروت: دار الجيل. ١٩٨٦.

ثبت المرجع الأجنبي

Azeez, Abdul. V.M. 2011. *History ofArabic Literatur*. Kerala: tanpa Penerbit.

Damono, Sapardi Djoko. 2002. *Pedoman Penelitian Sastra.* Jakarta: Pusat Bahasa Departemen Pendidikan Nasional.

Hitti, Philip K. 2006. *History of The Arabs,* pent: R. Cecep Lukman Yasin et.al. Jakarta: PT SERAMBI ILMU SEMESTA.

Kamil, Sukron. "Sejarah prosa imajinatif (Novel) Arab dari Klasik hingga Kontemporer", Jakarta: Universitas Islam Negeri Syarif Hidayatullah.

Karana, Andan Wahyu. 2013. "Kajian Sosiologi Sastra Tokoh Utama Dalam Novel *Lintang* Karya Ardini Pangastuti B.N" dalam *Jurnal Program Studi Pendidikan Bahasa dan Sastra Jawa* Universitas Muhammadiyah Purworejo. Vol 02. No 03. Mei.

Kurniawan, Heru. 2012. *Teori, Metode, dan Aplikasi Sosiologi Sastra.* Yogyakarta: Graha Ilmu.

Lesmana, Maman. 2008. "Humor dalam Kitab Al-Bukhala'", (Disertasi, UIN Syarif Hidayatullah). Jakarta.

Siswantoro. 2010. *Metode Penelitian Sastra Analisis Struktur Puisi.* Yogyakarta: Pustaka Pelajar.

Subroto, Edi 1992. *Pengantar Metoda Penelitian Linguistik Struktural.* Surakarta: Sebelas Maret University Press.

Soekanto, Soerjono. 2011). *Sosiologi Suatu Pengantar.* Jakarta: Rajawali Press.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

Sudaryanto. 1994. *Metode dan Aneka Teknik Analisis Bahasa*. Yogyakarta: Duta Wacana University Press.

Swingewood, Alan dan Diana Laurenson. 1972. *The Sociology of Literature,* Paladine.

Wiyatmi. 2013. *Sosiologi Sastra*. Yogyakarta: Kanwa Publisher.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

طرف أهل خراسان

»نبدأ بأهل خراسان« ، لإكثار الناس في أهل خراسان، ونخص بذلك أهل «مرو» «١» ، بقدر ما خصوا به:

قال أصحابنا: يقول المروزي «٢» للزائر، إذا أتاه، وللجليس، إذا طال جلوسه: «تغدّيت اليوم» ؟ فإن قال «نعم» ، قال: «لولا أنك تغدّيت لغدّيتك بغداء طيب» ؛ وإن قال: «لا» . قال: «لو كنت تغديت، لسقيتك خمسة أقداح» . فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير.

وكنت في منزل «ابن أبي كريمة» «٣» وأصله من مرو، فرآني أتوضأ من كوز «٤» خزف، فقال: «سبحان الله تتوضأ بالعذب، والبئر لك معرضة» ؟ قلت: «ليس بعذب، إنما هو من ماء البئر» . قال: فتفسد علينا كوزنا بالملوحة» . فلم أدر كيف أتخلص منه.

وحدثني عمرو بن نهيوي «٥» قال: «تغدّيت يوما عند الكندي

فدخل عليه رجل كان له جارا، وكان لي صديقا، فلم يعرض عليه الطعام ونحن نأكل (وكان أبخل من خلق الله) ، قال: «فاستحييت منه» ، فقلت: «سبحان الله! لو دنوت فأصبت معنا مما نأكل» . قال:

«قد والله فعلت» . فقال الكندي: «ما بعد الله شيء» . قال عمرو:

«فكتفه، والله كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا، وتركه، ولو مدّ يده لكان كافرا، أو لكان قد جعل مع الله، جلّ ذكره، شيئا» .

وليس هذا الحديث لأهل مرو ولكنه من شكل الحديث الأول.

وقال ثمامة «١» : «لم أر الديك في بلدة قطّ إلا وهو لا قط، يأخذ الحبة بمنقاره، ثم يلفظها قدام الدجاجة، إلا ديكة مرو، فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

مناقيرها من الحب» . قال: «فعلمت إن بخلهم شيء في طبع البلاد، وفي جواهر الماء، فمن ثمّ عمّ جميع حيوانهم» .

فحدّثت بهذا الحديث أحمد بن رشيد، فقال: «كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبيّ له صغير يلعب بين يديه، فقلت له، إما عابثا وإما ممتحنا: «أطعمني من خبزكم» . قال: «لا تريده، هو مرّ» . فقلت:

«فاسقني من مائكم» قال: «لا تريده، هو مالح» . قلت: «هات لي من كذا وكذا» قال: لا تريده، هو كذا وكذا» . إلى أن عددت أصنافا كثيرة، كل ذلك يمنعنيه ويبغضه إليّ. فضحك أبوه وقال: «ما ذنبنا؟

هذا من علّمه ما تسمع» ؟ يعني أن البخل طبع فيهم، وفي إعراقهم، وطينتهم.

وزعم أصحابنا أن خراسانية ترافقوا في منزل، وصبروا عن الارتفاق «١» بالمصباح ما أمكن الصبر. ثم أنهم تناهدوا «٢» وتخارجوا «٣» ، وأبى واحد منهم أن يعينهم، وأن يدخل في الغرم «٤» معهم. فكانوا إذا جاء المصباح شدّوا عينه بمنديل؛ ولا يزال ولا يزالون كذلك، إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح، فإذا أطفأوه أطلقوا عينيه.

ورأيت أنا حمّارة منهم، زهاء خمسين رجلا، يتغدون على مباقل «٥» بحضرة قرية الأعراب، في طريق الكوفة، وهم حجّاج. فلم أر من جميع الخمسين رجلين يأكلان معا، وهم في ذلك متقاربون، يحدّث بعضهم بعضا. وهذا الذي رأيته منهم من غريب ما يتفق للناس.

حدّثني مويس بن عمران «٦» قال: «قال رجل منهم لصاحبه، وكانا إمّا متزاملين «٧» ، وإما مترافقين، «لم لا نتطاعم «٨» ؟ فان يد الله مع الجماعة، وفي الإجتماع البركة» ؛ وما زالوا يقولون: «طعام الإثنين لا يكفي الثلاثة، وطعام الثلاثة لا يكفي الأربعة» . فقال له صاحبه:

«لولا أعلم أنك آكل مني لأدخلت لك هذا الكلام في باب النصيحة» .

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

فلما كان الغد، وأعاد عليه القول، قال له: «يا عبد الله معك رغيف، ومعي رغيف؛ ولولا أنك تريد الشرّ، ما كان حرصك على مؤاكلتي.

تريد الحديث والمؤانسة؟ اجعل الطبق واحدا، ويكون رغيف كل منّا قدّام صاحبه. وما أشك أنك إذا أكلت رغيفك، ونصف رغيفي، ستجده مباركا. إنما كان ينبغي أن أكون أجده أنا، لا أنت.

وقال خاقان بن صبيح «١» : «دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا، وإذا هو قد أتانا بمسرجة «٢» ، فيها فتيلة في غاية الدقّة، وإذا هو قد ألقى في دهن المسرجة شيئا من ملح «٣» ، وقد علّق على عمود المنارة عودا بخيط، وقد حزّ فيه حتى صار فيه مكان للرّباط. فكان المصباح، إذا كاد ينطفىء أشخص «٤» رأس الفتيلة بذلك» . قال: «فقلت له: ما بال العود مربوطا» ؟ قال: «هذا عود قد تشرّب الدهن، فإن ضاع و لم يحفظ احتجنا إلى واحد عطشان، فإذا كان هذا دأبنا «٥» ودأبه، ضاع من دهننا في الشهر بقدر كفاية ليلة» . قال: «فبينا أنا أتعجبّ في نفسي، وأسأل الله جلّ وذكره العافية والستر، إذ دخل شيخ من أهل مرو، فنظر الى العود فقال: «يا أبا فلان فررت من شيء ووقعت في شيء. أما تعلم أن الريح والشمس تأخذوان من سائر الأشياء؟ أو ليس قد كان البارحة عند إطفاء السراج أروى «٦» ، وهو عند إسراجك الليلة أعطش «٧» ؟ قد كنت أنا جاهلا مثلك حتى وفّقني الله إلى ما هو أرشد! اربط، عافاك الله، بدل العود إبرة أو مسلة صغيرة. وعلى أن العود والخلال «٨» والقصبة ربما تعلّقت بها الشعرة من قطن الفتيلة إذا سوّيناها بها فيشخص لها. وربما كان ذلك سببا لا نطفاء السراج. والحديد أملس، وهو مع ذلك غير نشاف» . قال خاقان: «ففي تلك الليلة عرفت فضل اهل خراسان على سائر الناس، وفضل أهل مرو على سائر أهل خراسان» .

قال مثنّى بن بشير «١» : دخل أبو عبد الله المروزي على شيخ من أهل خراسان، وإذا هو قد استصبح في مسرجة خزف، من هذه الخزفيّة الخضر. فقال له الشيخ: لا يجيء

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

والله منك، من صالح أبدا. عاتبتك في مسارج الحجارة، فأعتبتني بالخزف. أو ما علمت أن الخزف والحجارة يحسوان «٢» الدهن حسوا؟ قال جعلت فداك! دفعتها إلى حريف «٣» لي، دهّان، فألقاها في المصفاة شهرا حتى رويت، من الدهن، ريّا لا تحتاج معه أبدا الى شيء. قال: ليس هذا أريد؛ هذا دواؤه يسير، وقد وقعت عليه. ولكن ما علمت أن موضع النار من المسرجة، في طرف الفتيلة، لا ينفكّ من إحراق النار، وتجفيفه، ونشف ما فيه؛ ومتى ابتلّ بالدّهن وتسقاه، عادت النار عليه فأكلته؟ هذا دأبهما. فلو قسمت ما يتشرّب ذلك المكان، من الدهن، بما يستمده طرف الفتيلة منه، لعلمت أن ذلك أكثر. وبعد هذا، فإن ذلك الموضع من الفتيلة والمسرجة، لا يزال سائلا جاريا؛ ويقال إنك متى وضعت مسرجة، فيها مصباح، وأخرى لا مصباح فيها، لم تلبث إلا ليلة أو ليلتين حتى ترى السفلى ملآنة دهنا.

واعتبر أيضا ذلك بالملح الذي يوضع تحت المسرجة، والنخالة التي توضع هناك لتسويتها وتصويبها، كيف تجدهما ينعصران دهنا. وهذا كله خسران وغبن، لا يتهاون به إلا أصحاب الفساد. على أن المفسدين إنما يطعمون الناس، ويسقون ناس، وهم على حال يستخلفون «٤» شيئا، وإن كان دونا. وأنت إنما تطعم النار، وتسقي النار، ومن أطعم النار جعله الله يوم القيامة طعاما للنار. قال الشيخ: فكيف أصنع جعلت فداك؟ قال: تتخذ قنديلا؛ فإن الزجاج أحفظ من غيره، والزجاج لا يعرف الرشح ولا النشف، ولا يقبل الأوساخ التي لا تزول إلا بالدلك الشديد، أو بإحراق النار؛ وأيهما ما كان، فإنه يعيد المسرجة الى العطش الأول.

والزجاج أبقى على الماء والتراب، من الذهب الإبريز «١» ؛ وهو مع ذلك مصنوع، والذهب مخلوق، فإن فضله الذهب بالصلابة، فضله الزجاج بالصفاء؛ والزجاج مجلّ، والذهب ستّار. ولأن الفتيلة إنما تكون في وسطه، فلا تحمّى جوانبه بوهج المصباح، كما تحمى بموضع النار من المسرجة. وإذا وقع شعاع النار على جوهر الزجاج، صار المصباح والقنديل مصباحا واحدا، وردّ الضياء كل واحد منهما على صاحبه.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

واعتبر ذلك بالشعاع الذي يسقط على وجه المرآة، أو على وجه الماء، أو على الزجاجة؛ ثم انظر كيف يتضاعف نوره؛ وإن كان سقوطه على عين إنسان أعشاه، وربما أعماه. وقال الله جلّ ذكره: اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ «٢» فِيها مِصْباحٌ، الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ، الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ، يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ، نُورٌ عَلى نُورٍ، يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ

. والزيت في الزجاجة نور على نور، وضوء على ضوء مضاعف. هذا مع فضل حسن القنديل على حسن مسارج الحجارة والخزف.

وأبو عبد الله هذا كان من أطيب الخلق، وأملحهم بخلا، وأشدهم رياء، أدخل على ذي اليمينين، طاهر بن الحسين، وقد كان يعرفه بخراسان بسبب الكلام، فقال له: منذ كم أنت مقيم بالعراق، يا أبا عبد الله؟ فقال: أنا بالعراق منذ عشرين سنة، وأنا أصوم الدهر منذ أربعين سنة. قال: فضحك طاهر، وقال: سألناك يا أبا عبد الله عن مسألة، فأجبتنا عن مسألتين.

قصة العراقي مع المروزي

من أعاجيب أهل مرو ما سمعناه من مشيختنا على وجه الدهر، وذلك: إن رجلا من أهل مرو كان ولا يزال يحجّ ويتّجر، ويترل على رجل من أهل العراق، فيكرمه ويكفيه مؤونته. ثم كان كثيرا ما يقول لذلك العراقي: «ليت إني قد رأيتك بمرو، حتى أكافئك، لقديم إحسانك، وما تجدّد لي من البرّ في كل مرّة. فأما ههنا فقد أغناك الله عني» .

قال: فعرضت لذلك العراقي، بعد دهر طويل، حاجة في تلك الناحية؛ فكان مما هوّن عليه مكابدة السفر، ووحشة الاغتراب، مكان المروزيّ هناك. فلما قدم مضى نحوه في ثياب سفره، وفي عمامته وقلنسوته «١» وكسائه، ليحطّ رحله عنده، كما يصنع الرجل بثقته، وموضع أنسه. فلما وجده قاعدا في أصحابه، أكبّ عليه وعانقه، فلم يره

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

أثبته، ولا سأل عنه سؤال من رآه قط. قال العراقي في نفسه: «لعل إنكاره إيّاي لمكان القناع» ؛ فرمى بقناعه، وابتدأ مساءلته، فكان له أنكر.

فقال: «لعله أن يكون إنما أتي من قبل العمامة» ؛ فترعها ثم إنتسب، وجدد مساءلته، فوجده أشدّ ما كان له إنكارا. قال «فلعله إنما أتي من قبل القلنسوة» ؛ وعلم المروزي أنه لم يبق شيء يتعلق به المتغافل والمتجاهل، فقال: «لو خرجت من جلدك لم أعرفك» : ترجمة هذا الكلام بالفارسية: «اكرازبوست بارون بيائي نشناستم» «٢»

المشاركة في طبخ اللحم

:

وزعموا أنهم ربما ترافقوا وتزاملوا، فتناهدوا «١» وتلازموا في شراء اللحم، فإذا اشتروا اللحم قسموه، قبل الطبخ، وأخذ كل إنسان منهم نصيبه فشكه بخوصة «٢» أو بخيط، ثم أرسله في خلّ القدر والتوابل.

فإذا طبخوه تناول كل إنسان خيطه، وقد علّمه بعلامة ثم اقتسموا المرق، ثم لا يزال أحدهم يسلّ من الخيط، القطعة بعد القطعة، حتى يبقى الحبل لا شيء فيه. ثم يجمعون خيوطهم. فإن أعادوا الملازمة، أعادوا تلك الخيوط، لأنها قد تشرّبت الدسم فقد رويت. وليس تناهدهم من طريق الرغبة في المشاركة، ولكن لأن بضعة كل واحد منهم لا تبلغ مقدار الذي يحتمل أن يطبخ وحده، ولأن المؤونة تخفّ أيضا، والحطب والخلّ والثوم والتوابل، ولأن القدر الواحدة أمكن من أن يقدر كل واحد منهم على قدر وإنما يختارون السكباج «٣» لأنها تبقى على الأيام، وأبعد من الفساد.

قصة مقلى الخراساني:

حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظّام «٤» قال: قلت مرة لجار كان لي، من أهل خراسان: «أعرني مقلاكم، فإني أحتاج إليه» قال:

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

«قد كان لنا مقلى، ولكنه سرق» . فاستعرت من جار لي آخر. فلم يلبث الخراساني أن سمع نشيش «٥» اللحم في المقلى، وشمّ الطباهج «٦» ، فقال لي: كالمغضب: «ما في الأرض أعجب منك، لو كنت أخبرتني أنك تريده للحم أو لشحم لوجدتني أسرع إليك به، إنما خشيتك تريده للباقلّي «١» ، وحديد المقلى يحترق إذا كان الذي يقلى فيه ليس بدسم.

وكيف لا أعيرك إذا أردت الطّباهج، والمقلى، بعد الرّد من الطباهج، أحسن حالا منه، وهو في البيت؟!.

طلاق بسبب غسل الخوان:

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام: دعانا جار لنا، فأطعمنا تمرا وسمن سلاء «٢» ، ونحن على خوان «٣» ليس عليه إلا ما ذكرت، والخراساني معنا يأكل، فرأيته يقطر السمن على الخوان حتى أكثر من ذلك؛ فقلت لرجل إلى جنبي: ما لأبي فلان يضيع سمن القوم، ويسيء المؤاكلة، ويغرف فوق الحق؟ قال: وما عرفت علّته؟ قلت: لا والله. قال: الخوان خوانه، فهو يريد أن يدسمه، ليكون كالدّبغ له.

ولقد طلّق إمرأته، وهي أمّ أولاده، لأنه رآها غسلت له خوانا له بماء حارّ، فقال لها: هلّا مسحته.

الأكل مع الجماعة تكلّف:

وقال أبو نوّاس: كان معنا في السفينة ونحن نريد بغداد، رجل من أهل خراسان، وكان من عقلائهم وفقهائهم. فكان يأكل وحده. فقلت له: «لم تأكل وحدك» ؟ قال: ليس «عليّ» في هذا الوضع مسألة؛ إنما لمسأله على من أكل مع الجماعة، لأن ذلك هو التكلّف. وأكلي وحدي هو الأصل، وأكلي مع غيري زيادة في الأصل» .

السلام والطعام:

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

وحدّثني إبراهيم بن السندي «١» قال: كان على ربض الشاذروان «٢» شيخ لنا، من أهل خراسان. وكان مصححا بعيدا من الفساد، ومن الرشا «٣» ، ومن الحكم بالهوى، وكان حفيا «٤» جدا، وكذلك كان في إمساكه، وفي بخله، وتدنيقه «٥» في نفقاته؛ وكان لا يأكل إلا ما لا بد منه، ولا يشرب إلا ما بدا منه. غير أنه إذا كان في غداة كل جمعة حمل معه منديلا فيه جردقتان «٦» ، وقطع لحم سكباج «٧» مبرّد، وقطع جبن، وزيتونات، وصرة فيها ملح، وأخرى فيها أشنان «٨» وأربع بيضات ليس منها بدّ، ومعه خلال. ومضى وحده، حتى يدخل بعض بساتين الكرخ «٩» ، وينظر موضعا تحت شجرة، وسط خضرة، وعلى ماء جار. فاذا وجد ذلك جلس، وبسط بين يديه المنديل، وأكل من هذا مرة، ومن هذا مرّة. فإن وجد قيّم «١» ذلك البستان رمى إليه بدرهم، ثم قال:

اشتر لي بهذا، أو أعطني بهذا، رطبا، (إن كان في زمان الرطب) ، أو عنبا (إن كان في زمان العنب) ويقول له: إياك إياك أن تحابيني «٢» ، ولكن تجوّد لي، فإنّك إن فعلت لم آكله، و لم أعد إليك. واحذر الغبن فان المغبون لا محمود ولا مأجور» فإن أتاه به أكل كل شيء معه، وكل شيء أتي به، ثم تخلّل، وغسل يديه، ثم تمشّى مقدار مائة خطوة. ثم يضع جنبه، فينام الى وقت الجمعة. ثم ينتبه فيغتسل، ويمضي الى المسجد.

هذا كان دأبه كل جمعة!! قال إبراهيم: فبينا هو يوما من أيامه يأكل في بعض المواضع، إذ مر به رجل فسلّم عليه، فردّ السلام؛ ثم قال: «هلّم عافاك الله» . فلما نظر الى الرجل وقد انثنى راجعا، يريد أن يطفر الجدول أو يعبر النهر، قال له: «مكانك، فإنّ العجلة من عمل الشيطان» . فوقف الرجل، فأقبل عليه الخراساني وقال: «تريد ماذا» ؟ قال: «أريد أن أتغدّى» .

قال: «و لم ذاك؟ وكيف طمعت في هذا؟ ومن أباح لك مالي» ؟ قال الرجل: «أوليس قد دعوتني» ؟ قال: «ويلك، لو ظننت أنك هكذا أحمق، ما رددت عليك السلام. ايحسن فيما نحن فيه أن تكون، إذا كنت أنا الجالس وأنت المار، أن تبدأ أنت فتسلم،

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

فأقول أنا حينئذ، مجيبا لك: «وعليكم السلام» . فإن كنت لا آكلا شيئا، سكتّ أنا، وسكتّ أنت، ومضيت أنت، وقعدت أنا على حالي. وإن كنت آكل فههنا وجه آخر، وهو إن أبدأ أنا، فأقول: «هلّم» ، وتجيب أنت فتقول:

«هنيئا» . فيكون كلام بكلام، فأما كلام بفعال، وقول بأكل، فهذا ليس من الإنصاف، وهذا يخرج علينا فضلا كبيرا. قال: فورد على الرجل شيء لم يكن في حسابه. فشهر بذلك في تلك الناحية، وقيل له: «قد أعفينا من السلام، ومن تكلف الرد» . قال: «ما بي الى ذلك حاجة، إنما هو أن أعفي أنا نفسي من «هلّم» وقد استقام الأمر» .

كذب بكذب:

ومثل هذا الحديث ما حدثني به محمد بن يسير «١» عن وال كان بفارس، إما أن يكون خالدا خومهرويه، أو غيره، قال:

بينا هو يوما في مجلس، وهو مشغول بحسنابه وأمره، وقد احتجب بجهده، إذ نجم «٢» شاعر من بين يديه، فأنشده شعرا مدحه فيه، وقرّظه «٣» ، ومجّده. فلمّا فرغ قال: «قد أحسنت» . ثم أقبل على كاتبه فقال: أعطه عشرة آلاف درهم» . ففرح الشاعر فرحا شديدا؛ فلما رأى حاله قال: «وإني لأرى هذا القول قد وقع منك هذا الموقع؟ اجعلها ألف درهم» . فكاد الشاعر يخرج من جلده، فلما رأى فرحه قد تضاعف، قال: «وإن فرحك ليتضاعف على قدر تضاعف القول؟ أعطه يا فلان أربعين ألفا» . فكاد الفرح يقتله.

فلما رجعت إليه نفسه قال له: «أنت، جعلت فداك، رجل كريم؛ وأنا أعلم أنك كلما رأيتني قد ازددت فرحا، زدتني في الجائزة، وقبول هذا منك لا يكون إلا من قلة الشكر» . ثم دعا له وخرج.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

قال: فأقبل عليه كاتبه فقال: «سبحان الله! هذا كان يرضى منك بأربعين درهما تأمر له بأربعين ألف درهم» ؟ قال: «ويلك! وتريد أن تعطيه شيئا» ؟ قال: «و لم امرت له بذلك» ؟ قال: «يا أحمق، إنما هذا رجل سرّنا بكلام، وسررناه بكلام. هو حين زعم أني أحسن من القمر، وأشدّ من الأسد، وأن لساني أقطع من السيف، وأن أمري أنفذ من السّنان هل جعل في يدي من هذا شيئا أرجع به الى بيتي؟ ألسنا نعلم أنه قد كذب؟ ولكنه قد سرّنا حين كذب لنا، فنحن أيضا نسرّه بالقول ونأمر له بالجوائز، وإن كان كذبا، فيكون كذب بكذب وقول بقول. فأما أن يكون كذب بصدق وقول بفعل، فهذا هو الخسران المبين الذي سمعت به» .

ويقال: إن هذا المثل الذي قد جرى على ألسنة العوّام من قولهم:

«ينظر إليّ شزرا كأنّي أكلت إثنين، وأطعمته واحدا» إنما هو لأهل مرو.

قال: وقال المروزيّ لولا إنني أبني مدينة لبينت آريّا لدابتي.

قال: وقلت لأحمد بن هشام «١» ، وهو يبني داره ببغداد: «إذا أراد الله ذهاب مال رجل سلّط عليه الطين والماء» . قال: «وما يصنع بذكر الطين والماء؟ إنما إذا أراد الله ذهاب مال رجل جعله يرجو الخلف «٢» ، لا والله أن أهلك الناس، ولا أقفر بيوتهم، ولا ترك دورهم بلاقع «٣» ، إلا الإيمان بالخلف، وما رأيت جنة «٤» قط أوقى من اليأس» الزكاة والخلف:

قال: وسمع رجل، من المراوزة، الحسن وهو يحث الناس على المعروف، ويأمر بالصدقة، ويقول: «ما نقص مال قطّ من زكاة» ، ويعدهم سرعة الخلف. فتصدّق المروزيّ بماله كله فافتقر، فانتظر سنة وسنة، فلما لم ير شيئا بكر على الحسن، فقال: «حسن ما صنعت بي؟

ضمنت لي الخلف، فأنفقت على عدتك، وأنا اليوم مذ كذا وكذا سنة أنتظر ما وعدت، لا أرى منه قليلا ولا كثيرا. هذا يحلّ لك؟ اللص كان يصنع بي أكثر من هذا» ؟

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

والخلف يكون معجّلا ومؤجلا. ومن تصدّق وتشرّط الشروط استحقّ الحرمان. ولو كان هذا على ما توهّمه المروزي لكانت المحنة فيه ساقطة، ولترك الناس التجارة، ولما بقي فقير، ولذهبت العبادة.

وقيل: أصبح ثمامة شديد الغمّ حين احترقت داره. وكان كلما دخل عليه إنسان قال: الحريق سريع الخلف. فلما كثر ذلك القول منهم، قال: «فاستحرق الله «١» . اللهم إني أستحرقك فأحرق كل شيء لنا» .

الإقتصاد في لبس الاخفاف:

وليس هذا الحديث من حديث المراوزة، ولكنا ضممناه الى ما يشاكله:

قال سجّادة، وهو أبو سعيد سجّادة: ناس من المراوزة إذا لبسوا الخفاف «٢» في الستة الأشهر التي لا يترعون فيها خفافهم، يمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر، وعلى أعقاب أرجلهم ثلاثة أشهر حتى يكون كأنهم لم يلبسوا خفافهم إلا ثلاثة أشهر، مخافة أن تنجرد نعال خفافهم أو تنقب.

حكى أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام، عن جاره المروزي: أنه كان لا يلبس خفا ولا نعلا إلى أن يذهب النبق «١» اليابس، لكثرة النوى في الطريق والأسواق. قال: ورآني مرة. مصصت قصب سكر، فجمعت ما مصصت ماءه، لأرمي به، فقال: «إن كنت لا تنوّر لك، ولا عيال عليك، فهبه لمن له تنّور وعليه عيال. وإياك أن تعوّد نفسك هذه العادة في أيام خفّة ظهرك «٢» ، فانك لا تدري متى تأتيك العيال» .

قصة أهل يصرة والمسجدين

الحمار والماء الأجاج

قال أصحابنا منة المسجديين: اجتمع ناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة والتثمير للمال، من أصحاب الجمع والمنع. وقد كان هذا المذهب صار عندهم

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

كالنسب الذي يجمع على التحاب، وكان الذي يجمع على التناصر. وكانوا إذا التقوا في حلقهم تذاكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه، إلتماسا للمفائدة، واستمتاعا بذكره.

فقال شيخ منهم: ماء بئرنا – كما قد علمتم – ملح أجاج لا يقربه الحمار ولا تسيغه الإبل وتموت عليه النخل، والنهر منا بعيد، وفي تكلف العذب علينا مؤنة. فكنا نمزج منه للحمار فاعتلّ منه وانتفض علينا من أجله، فصرنا بعد ذلك نسقيه العذب صرفاً. وكنت أنا والنعجة كثيراً ما نغتسل بالعذب مخافة أن يعتري جلودنا منه مثل ما اعترى جوف الحمار. فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلاً. ثم انفتح لي باب من الإصلاح فعمدت إلى ذلك المتوضأ، فجعلت في ناحية منه حفرة، وصهرجتها وملستها حتى صارت كأنها صخرة منقورة. وصوبت إليها المسيل فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافياً لم يخالطه شيء. ولولا التعبد لكان جلد المتغوط أحق بالنتن من جلد الجنب، فمقادير طيب الجلود واحدة، والماء على حاله. والحمار أيضاً لا تقزز له منه. له من ماء الجنابة، وليس علينا حرج في سقيه منه. وما علمنا أن كتاباً حرمه ولا سنة نهت عنه. فربحنا هذه منذ أيام وأسقطنا مؤنة عن النفس والمال. قال القوم: هذا بتوفيق الله ومنه.

مريم الصنّاع

فأقبل عليهم شيخ فقال: هل شعرتم بموت مريم الصناع؟ فإنها كانت من ذوات الاقتصاد وصاحبة إصلاح. قالوا: فحدثنا عنها. قال: نوادرها كثيرة وحديثها طويل، ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية. قالوا: وما هي؟ قال: زوجت ابنتها وهي بنت اثنتي عشرة فحلتها الذهب والفضة وكستها المروى والوشي والقز والخز وعلقت المعصفر، ودقت الطيب وعظمت أمرها في عين الختن من قدرها عند الأحماء. فقال لها زوجها: أنى لك هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله. قال: دعي عنك الجملة وهاتي التفسير، والله ما كنت ذات مال قديماً ولا ورثته حديثاً، وما أنت بخائنة في نفسك ولا

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

في مال بعلك، إلا أن تكوني قد وقعت على كنز! وكيف دار الأمر فقد أسقطت عني مؤنة وكفيتني هذه النائبة. قالت: اعلم أني منذ يوم ولدتها إلى أن زوجتها كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنة، وكنا – كما قد علمت – نخبز في كل يوم مرة. فإذا اجتمع من ذلك مكوك بعته. قال زوجها: ثبت الله رأيك وأرشدك! ولقد أسعد الله من كنت له سكناً وبارك لمن جعلت له إلفاً! ولهذا وشبهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من الذود إلى الذود إبل. وإني لأرجو أن يخرج ولدك على عرقك الصالح وعلى مذهبك المحمود. وما فرحي بهذا منك بأشد من فرحي بما يثبت الله بك في عقبي من هذه الطريقة المرضية.

فنهض القوم بأجمعهم إلى جنازتها، وصلوا عليها. ثم انكفؤا إلى زوجها فعزوه على مصيبته وشاركوه في حزنه.

درهم على درهم

ثم اندفع شيخ منهم فقال: يا قوم لا تحقروا صغار الأمور فإن أول كل كبير صغير. ومتى شاء الله أن يعظم صغيراً عظمه وأن يكثر قليلاً كثره. وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم؟ وهل الدرهم إلا قيراط إلى جنب قيراط؟ أوليس كذلك رمل عالج وماء البحر؟ وهل اجتمعت أموال بيوت إلا بدرهم من ههنا ودرهم من ههنا. فقد رأيت صاحب سقط قد اعتقد مائة جريب في أرض العرب ولربما رأيته يبيع الفلفل بقيراط والحمص بقيراط فأعلم أنه لم يربح في ذلك الفلفل إلا الحبة والحبتين من خشب الفلفل، فلم يزل يجمع من الصغار الكبار، حتى اجتمع ما اشترى به مائة جريب.

ماء النخالة

ثم قال: اشتكيت أياماً صدري من سعال كان أصابني فأمرني قوم بالفانيذ السكري، وأشار على آخرون بالحريرة تتخذ من النشاشتج والسكر ودهن اللوز وأشباه ذلك. فاستثقلت المؤنة وكرهت الكلفة ورجوت العافية. فبينا أنا أدافع الأيام إذ قال لي بعض الموفقين: عليك بماء النخالة فاحسه حاراً. فحسوت فإذا هو طيب جداً وإذا هو يعصم:

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

فما جعت ولا اشتهيت الغذاء في ذلك اليوم إلى الظهر. ثم ما فرغت من غدائي وغسل يدي حتى قاربت العصر. فلما قرب وقت غدائي من وقت عشائي، طويت العشاء وعرفت قصدي.

فقلت للعجوز: لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة؟ فإن ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمة، ثم تجففين بعد النخالة فتعود كما كانت، فتبيعين إذا اجتمع بمثل الثمن الأول، ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالين. قالت: أرجو أن يكون الله قد جمع بهذا السعال مصالح كثيرة، لما فتح الله لك بهذه النخالة التي فيها صلاح بدنك معاشك.

وما أشك أن تلك المشهورة كانت من التوفيق. قال القوم: صدقت مثل هذا لا يكتسب بالرأي ولا يكون إلا سماويا.

الحرّاق والقداحة والعرجون

ثم أقبل عليهم شيخ اخر فقال: كنا نلقي من الحراق والقداحة جهداً لأن الحجارة كانت – إذا انكسرت حروفها واستدارت – كلت و لم تقدح قدح خير وأصلدت فلم تور. وربما أعجلنا المطر والوكف. وقد كان الحجر أيضاً يأخذ من حروف القداحة حتى يدعها كالقوس، فكنت أشتري المرقشيتا بالغلاء والقداحة الغليظة بالثمن الموجع. وكان علينا أيضاً في صنعة الحراق وفي معالجة العطبة مؤنة، وله ريح كريهة. والحراق لا يجيء من الحرق المصبوغة، ولا من الحرق الوسخة، ولا من الكتان، ولا من الخلقان. فكنا نشتريه بأغلى الثمن. فتذاكرنا منذ أيام أهل البدو والأعراب، وقدحهم النار بالمرخ والعفار، فزعم لنا صديقنا الثوري وهو – ما علمت – أحد المرشدين: أن عراجين الأعذاق تنوب عن ذلك أجمع. وعلمني كيف تعالج. ونحن نؤتى بها من أرضنا بلا كلفة. فالخادم اليوم لا تقدح ولا توري إلا بالعرجون. قال القوم: قد مرت بنا اليوم فوائد كثيرة. ولهذا ما قال الأول: مذاكرة الرجال تلقح الألباب.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

معاذة العنبرية

ثم اندفع شيخ منهم فقال: لم أرى في وضع الأمور في مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها، كمعاذة العنبرية. قالوا: وما شان معاذة هذه؟ قال: أهدى إليها العام ابن عم لها أضحية. فرأيتها كئيبة حزينة مفكرة مطرقة، فقلت لها: مالك يا معاذة قالت: أنا امرأة أرملة وليس لي قيم، ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي. وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه. وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة، ولست أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها. وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا غيرها شيئاً لا منفعة فيه. ولكن المرء يعجز لا محالة. ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجر تضييع الكثير.

أما القرن فالوجه فيه معروف وهو أن يجعل منه كالخطاف، ويسمر في جذع من أجذاع السقف، فيعلق عليه الزبل والكيران، وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير وبنات وردان والحيات وغير ذلك. وأما المصران فإنه لأوتار المندفة. وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة. وأما قحف الرأس واللحيان وسائر العظام فسبيله أن يكسر بعد أن يعرق ثم يطبخ، فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة ولغير ذلك، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها، فلم يرى الناس وقوداً قط أصفى ولا أحسن لهباً منه. وإذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر، لقلة ما يخالطها من الدخان. وأما الإهاب فالجلد نفسه جراب. وللصوف وجوه لا تعد. وأما الفرث والبعر فحطب إذا جفف عجيب.

ثم قالت: بقي الآن علينا الانتفاع بالدم. وقد علمت أن الله – عز وجل – لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها، وإن أنا لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به، صار كية في قلبي وقذي في عيني، وهما لا يزال يعودني.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

قال : فلم ألبث أن رأيتها قد تطلقت وتبسمت. فقلت: ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم. قالت: أجل ذكرت أن عندي قدوراً شامية جدداً. وقد زعموا أنه ليس شيء أدبغ ولا أزيد في قوتها من التلطيخ بالدم الحار الدسم. وقد استرحت الآن، إذ وقع كل شيء موقعه!

قال: ثم لقيتها بعد ستة أشهر فقلت لها: كيف كان قديد تلك؟ قالت: بأبي أنت! لم يجيء وقت القديد بعد! لنا في الشحم والألية والجنوب والعظم المعرق وغير ذلك معاش. ولكل شيء إبان. فقبض صاحب الحمار والماء العذب قبضة من حصى، ثم ضرب بها الأرض، ثم قال: لاتعلم أنك من المسرفين، حتى تسمع بأخبار الصالحين.

قصة زبيدة بن حميد

وأما زبيدة بن حميد الصيرفي فإنه استلف من بقال كان على باب داره درهمين وقيراطاً، فلما قضاه بعد ستة أشهر قضاه درهمين وثلاث حبات شعير.

فاغتاظ البقال فقال: سبحان الله! أنت رب مائة ألف دينار وأنا بقال لا أملك مائة فلس وإنما أعيش بكدي وباستفضال الحبة والحبتين.

صاح على بابك حمال والمال لم يحضرك وغاب وكيلك فنقدت عنك درهمين وأربع شعيرات.

فقضيتني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات.

فقال زبيدة: يا مجنون! أسلفتني في الصيف فقضيتك في الشتاء.

وثلاث شعيرات شتوية ندية أرزن من أربع شعيرات يابسة صيفية.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

وما أشك أن معك فضلاً! وحدثني أبو الأصبغ بن ربعي قال: دخلت عليه بعد أن ضرب غلمانه بيوم فقلت له: ما هذا الضرب المبرح وهذا الخلق السيء هؤلاء غلمان ولهم حرمة وكفاية وتربية. وإنما هم ولد. هؤلاء كانوا إلى غير هذا أحوج.

قال: إنك لست تدري أنهم أكلوا كل جوارشن كان عندي! قال أبو الأصبغ: فخرجت إلى رئيس غلمانه فقلت: ويلك! مالك وللجوارشن وما رغبتك فيه قال: جعلت فداك! ما أقدر أن أكلمك من الجوع إلا وأنا متكئ! الجوارشن! ما أصنع به هو نفسه ليس يشبع ولا نحتاج إلى الجوارشن ونحن الذين إنما نسمع بالشبع سماعاً من أفواه الناس! ما نصنع بالجوارشن واشتد على غلمانه في تصفية الماء وفي تبريده وتزميله لأصحابه وزواره.

فقال له غازي أبو مجاهد: جعلت فداك! مر بتزميل الخبز وتكثيره فإن الطعام قبل الشراب.

وقال مرة: يا غلام هات خوان النرد وهو يريد تحت النرد فقال له غازي: نحن إلى خوان الخبز أحوج. وسكر زبيدة ليلة فكسا صديقاً له قميصاً.

فلما صار القميص على النديم خاف البدوات وعلم أن ذلك من هفوات السكر.

فمضى من ساعته إلى منزله فجعله بركاناً لامرأته.

فلما أصبح سأل عن القميص وتفقده فقيل له: إنك قد كسوته فلاناً.

فبعث إليه ثم أقبل عليه فقال: ما علمت أن هبة السكران وشراءه وبيعه وصدقته وطلاقه لا يجوز وبعد فإني أكره ألا يكون لي حمد وأن يوجه الناس هذا مني السكر.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG

فرده علي حتى أهبه لك صاحياً عن طيب نفس فإني أكره أن يذهب شيء من مالي باطلاً.

فلما رآه قد صمم أقبل عليه فقال: يا هناه! إن الناس يمزحون ويلعبون ولا يؤاخذون بشيء من ذلك.

فرد القميص عافاك الله! قال له الرجل: إني والله قد خفت هذا بعينه فلم أضع جنبي إلى الأرض حتى جيبته لامرأتي.

وقد زدت في الكمين وحذفت المقاديم.

فإن أردت بعد هذا كله أن تأخذه فخذه.

فقال: نعم آخذه لأنه يصلح لامرأتي كما يصلح لامرأتك.

قال: فإنه عند الصباغ.

قال: فهاته.

قال: ليس أنا أسلمته إليه.

فلما علم أنه قد وقع قال: بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: جمع السر كله في بيت عليه فكان مفتاحه السكر.

CENTRAL LIBRARY OF MAULANA MALIK IBRAHIM STATE ISLAMIC UNIVERSITY OF MALANG